

دكتور  
محمد أفت سعيد

العضو المشارك جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
وكلمة الأمانة جامعة التوفيقية

# الإلهام

في التصور الإسلامي للأدب

دار الهداية  
للطباعة والنشر والتوزيع

ملتزم التوزيع  
دار الصحة للنشر والتوزيع  
٧ شارع السراى - المنيل

# الإسلام في الأدب

في التصور الإسلامي للأدب

مؤلفه: الدكتور محمد راقية سعيد

مؤلفه: الدكتور محمد راقية سعيد

محمد راقية سعيد

العضو المساعد بجامعة الأنعام بحرين - سوريا

وكلية الآداب - جامعة الكويت

دار الهدى  
للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

« بسم الله الرحمن الرحيم »

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن سلك سبيله .. وبعد

فقد شفى نفسى ، وأبرأ سقمها عقد ندوة للأدب الإسلامى فى رحاب جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، لابرار مفهوم الأدب الإسلامى والوقوف على خصائصه ، وكيفية الوصول الى بثه ونشره ، والتركيز على مجالاته ، واحياء النقد الذى يراعى قيم الإسلام فى نظرتة الى العمل الأدبى ، وذلك لتسليمنا بأثر الأدب ، وخطورته - ايجابيا وسلبيا - ووصولنا الى التصور الإسلامى الصحيح فى قضايا الأدب والنقد فى وقت ذاعت فيه تصورات مخالفة لها آثار لا نرتضيها فى مجتمعاتنا المسلمة .

ومن الموضوعات المطروحة للبحث ، والتي انشرح صدرى لمعالجتها موضوع « الالتزام » الذى استعمل - فى الأدب بصورة موسعة وصل الأمر فيها الى الزام الأديب بما لا يلزم . ولذلك اخترت هذا الموضوع لبحث مفهوم « الالتزام » وماذا يلتزم فى الأدب ؟ ..

وتصورات الناس عن الالتزام ، ومجال الالتزام الأدبى شعرا ونثرا ، ومعنى الالتزام الثقافى فى الأدب بالرؤية الإسلامية ، وامكانية ذلك ، وكيفيته ، وكيف تناول النقاد قضية « الالتزام » بالدراسة ؟ .

وأسأل الله أن يكون ذلك اسهاما مثرىا ، ولينة نافعة فى صرح أدب يصبغ بالصبغة الإسلامية ، « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » (١) .

وأسأله سبحانه التوفيق والسداد ..

---

(١) سورة البقرة / ١٣٨ .



الالتزام ، لغة ، واصطلاحاً :

يقول ابن منظور في مادة « لزم » : « اللزوم معروف والفعل لزم يلزم» (٢) ، ويقول : « .. والالتزام الاعتناق » (٣) .

ويقول الزمخشري في المادة نفسها .. والتزم الأمر ، ويقول : « ومن المجاز : التزمه : عانقه » (٤) .

وفي المعجم الوسيط (٥) :

« التزم : الشيء أو الأمر : أوجبه على نفسه ، وفلان للدولة : تعهد ان يؤدي قدرا من المال لقاء استغلاله أرضا من أملاكها .. فهو ملتزم » (٦) وفي معجم المصطلحات العلمية والفنية :

« يقال : التزم الأمر : أوجبه على نفسه « أخلاقياً : أخذ الانسان نفسه بما يمليه القانون الأخلقى .

وفي الفلسفة الوجودية : ارتباط بتعديل الحاضر لبناء المستقبل ولا يتحقق الا بالحرية قال سارتر :

« ان الحرية هي القدرة على الالتزام بالعمل الحالي وبناء المستقبل ، وهي تخلق مستقبلا يتيح لنا فهم الحاضر وتغييره » .

وفيه : « لزوم أو التزام ، أو استتباع = وجود ما يوجد عنه على سبيل لزوم لوجوده وتبعه لوجوده ، لأن كونه عن الأول إنما هو على سبيل اللزوم .

وفي هذا التعريف للالتزام نرى أنه يتناول الجانبين المسمى والمعنوي من الانسان ، فالانسان يتعهد ان يؤدي قدرا من المال لقاء استغلاله أرضا من أملاك الدولة فهو ملتزم .

(٣) اللسان ١٤/١٦ .

(٣) اللسان ١٦ / ١١٥ .

(٤) أساس البلاغة / ٥٦٤ .

(٥) المعجم الوسيط ٢ / ٨٣٠ .

(٦) معجم المصطلحات الفنية / ٧٠٨ .

وهذا المعنى الحسى يتضمن - أيضا - معنى الالتزام ، وقريب من معنى الالتزام أن نقول أن الانسان أوجب على نفسه أمرا معنويا ، لأن هذا الايجاب يشعر بأن الانسان مازال في صراع مع نفسه نحو هذا الأمر الذى يوجبه على نفسه .

ونظّل في قرب من معنى الالتزام مادمنّا في دائرة هذا الصراع مع النفس ، فإذا ما ظفرنا في نهاية الصراع بأن الأمر صار ممتزجا بالنفس وصارت النفس متعانقة مع هذا الأمر ، بما يصاحب هذا الاعتناق من طمأنينة ، وحرارة الرضا به ، صرنا الى معنى الالتزام الحقيقى الذى نحتاجه في حديثنا عن الأدب برؤية اسلامية . وهذا هو المجاز الذى يصيب الحقيقة ، أو هو حقيقة الكلمة في المعنى الذى نريده - هنا - والذى جعله الزمخشري مجازا للكلمة حيث يقول :

« ومن المجاز : التزمه : عانقه » (٧) .

وأما ابن منظور فيذكر ذلك لا على سبيل المجاز وإنما يقول :

« والالتزام : الاعتناق » (٨) .

ماذا يلتزم في الأدب ؟ ..

فإذا كان هذا هو معنى الالتزام فماذا يلتزم في الأدب إذا نظرنا اليه برؤية اسلامية ؟ .

ولكى نجيب عن هذا السؤال لابد أن نناقش بعض الأمور منها : ما طبيعة الأدب بصورة عامة ؟ .

وما عمل الأديب عندما نقف على أثر أدبى له من شعر أو نثر .

من قصيدة ، أو قصة ، أو مسرحية ، أو مقالة ؟ ..

طبيعة الأدب : ونرى من الاجابة عن هذين السؤالين أن الأدب

تعبير موح من قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان ( الأديب ) (٩) .

(٧). أساس البلاغة / ٥٦٤ .

(٨) اللسان ١٥/١٦ .

(٩) انظر تعريفات للأدب في « النقد الأدبى للاستاذ سيد قطب

ص ٧ وفى التاريخ فكرة ومنهاج للاستاذ / سيد قطب ص ١١ ، وانظر

الأدب المقارن . د . محمد غنيمى هلال / ٥ - ٦ ، وانظر الاتجاهات

الأدبية الاستاذ انيس القدمى ٩ - ١٢ ، وانظر الفن ومذاهبه فى الشعر

العربى د . شوقى ضيف / ١٣ - ١٤ ، وانظر فى النقد الأدبى د . شوقى

ضيف / ٦٩ - ٧٠ ، وتاريخ آداب العرب للرافعى ٣١/١ - ٣٧ .



ويكون عمل الأديب اذا هو التعبير الفنى - فى شكل من الأشكال الأدبية ، وفى جنس من أجناسها ، فى قصيدة شعرية ، أو فى عمل نثرى عن تجارب شعورية وانفعال بقيم حية .

وعندئذ يكون العمل الأدبى مظهرا للأديب ، وبمعنى آخر نتعرف من العمل الأدبى على طبيعة الأديب ومكنوناته ، دون أن يشعر بذلك .

### الالتزام الثقافى :

ومعنى هذا أن الأديب يعبر عن انفعاله ، وأن هذا الانفعال تابع لتصوراته عن الأمور ، وعن الأشياء وهذه التصورات - للكون من حوله وللأشياء مرتبطة بتكوينه الثقافى وما بنى عليه بناء يجعله ملتزما بهذه التصورات ومعبرا - دون تكلف - عن هذه الأفكار - التى استقرت فى وجدانه ومن هنا يكون مضمون الالتزام فى الأفكار التى استقرت فى وجدان الأديب وملكت مشاعره ، وفى تصوراته المرتبطة بهذه الأفكار تصورات عن الكون ، وعن الحياة ، وعن الناس ، والعلاقات الاجتماعية تصورات عن النفس الانسانية ، وعمما يصيبها من آمال وآلام ، وأفراح وأحزان .

ولما كان الناس مختلفين فى هذه الأفكار ، وفى هذه التصورات وجدنا . ما يلتزم به مختلفا ، فمضمون الالتزام عند قوم ليس هو عند آخرين .

يضيق عند قوم ، ويتسع عند آخرين ، يراد من الأديب عند قوم أن يلتزم بأدبه فىكون « الفن للفن ، والشعر للشعر » فلا التزام إلا بهذا ويراد من الأديب عند آخرين أن يلتزم بقضايا مجتمعه وآلام أمته ، ويراد من الأديب أن يلتزم بتصوير الواقع والتعبير عنه كما هو ، ويراد منه عند آخرين أن يتجاوز سوءات الواقع ليحمله الى الأفق السامى وأرى أن هذا كله يدخل فى مفهوم « الالتزام » ولو كانت القضايا قضايا حق ، ولو كان الأديب سيأخذ بيد أمته الى الأفق العالى .

وإنما يكون « الالتزام » فى أن يعيش الأديب نفسه هذه القضايا وأن ينفعل بها ، وأن يعبر عنها دون أن يقال له ذلك .

وأن يكون الأديب نفسه صاحب فكرة اعتنقها وخالطت قلبه وصار يصدق بها .

وأن يكون الأديب ذا تصورات عن الوجود. وعن الكون وعن الحياة  
لا تختلف هذه التصورات ، وهذه الأفكار إذا عبر عن أى موضوع ،  
وإذا تكلم فى أى جانب من الجوانب .

ويستلزم هذا أن نبحث أولا - عن الانسان ومكوناته الثقافية قبل  
أن نبحث عن التزامه .

فالانسان ذو الثقافة ينظر الى الامور نظرة تنسجم مع ثقافته ،  
ولذلك ان أردنا انسانا ملتزما فلننظر الى الثقافة التى ينتمى اليها ،  
ليس لتحكيمها فى تحليل العمل الأدبى فحسب ، واتما لمعرفة التزام  
الأديب ، أو افتعاله .

فإذا أردناه ملتزما بالثقافة الاسلامية ، فان معنى ذلك أن الأديب  
قد حصل من المعارف الاسلامية الضرورية ما يكون لديه منظارا خاصا  
ينظر به الى الأشياء ، والى الامور .

ويعنى آخر ينصهر فى الأديب ما حصله من هذه المعارف اليقينية  
ويصبح مزيجا متناسقا يجرى فى كيان الأديب مجرى الدم ، فلا يستطيع  
الأديب فى حركته الأدبية أن ينقك عنه .

انه ينبض بهذا التصور فى حياته كلها ، وتفاعله مع الحياة . ومع  
الكون ، ومع الناس مرتبط بهذا التصور الشمولى الذى جاء به الاسلام .

والأديب فى هذا الجانب الثقافى - يستوى مع غيره ممن يحصل  
هذه المعارف الاسلامية ويتفاعل معها ، ويعتقها . ويريد من هؤلاء  
فى أنه عند تفاعله مع موقف من المواقف يعبر عنه تعبيراً أدبياً يلتزم  
فيه بالضوابط الفنية .

فيجمع فى التزامه بين الفكرة الصافية والصياغة الفنية ،  
وان اقتصر على جانب واحد لا نستطيع أن نلقيه بالأديب الملتزم  
بثقافة الاسلام ، لأنه ان كان صافى الفكرة دون أن يلتزم بالتعبير الفنى  
الموحى لا نسميه الا متقفا .

وان الالتزام بالصياغة الفنية وتناقض مع ثقافة الاسلام لا نسميه الا  
فنانيا فى صناعة الكلام الذى يوصف بمضمونه .

أما الأديب الملتزم التزاما ثقافيا برؤية اسلامية فهو الأديب الذي يعبر عن المفاهيم الاسلامية ، أو الافكار الاسلامية ، أو التصورات الاسلامية الشاملة لجوانب الحياة كلها تعبيرا فنيا رائعا . فإراه ملتزما وهو يتحدث عن العقيدة ، وإراه ملتزما وهو يتحدث عن العبادة وإراه ملتزما وهو يتناول علاقة الانسان بأخيه الانسان . وإراه ملتزما عندما يعبر عن الحياة ، وعن المعاناة ، وعن فرحه وحزنه ، وانشراحه وغمه ، وإراه ملتزما في وصفه ، وفي تحليله للمواقف ، وإراه ملتزما عندما يتكلم عن علاقته بالانثى ، وعلاقته بأبنائه ، وإراه ملتزما في وقفته امام أحداث زمن ، وقضايا أمته ، لانه انسان مسلم مثقف كغيره في هذا الجانب ، ومع ثقافته أديب يفعل ويستطيع اخراج انفعالاته شعرا عذبا ، أو رواية ، أو قصة ، أو مسرحية ، أو مقالا .

على أننا لا نجعل مفهوم الالتزام بهذا المعنى لقباً نلقب به أديبا فنقول انه أديب ملتزم ويكون كل انتاجه الأدبي ملفوفا بهذا الساتر الحريري .

ولا ينبغي أن يكون الالتزام لقباً مضللاً ، بل يبقى حكم الأديب في حكم الانسان الذي لا تستوى أعماله كلها . ويبقى حكم الالتزام خاصا بكل عمل على حدة .

فان كان ملتزما في هذا العمل بالجانبين ، بثقافة الاسلام ، وبالصياغة الفنية قلنا انه أديب ملتزم في هذا العمل .

بل الأمر أدق من ذلك فنستطيع أن نقول ان العمل الواحد لا ينبغي أن نخصه منذ البداية بلقب الالتزام فيه جملة ، فان كان العمل يتمثل الوحدة العضوية فلا نستطيع أن نجزيء حكمه ، ولكن ان كان العمل لا يقوم على وحدة عضوية من أوله الى آخره فيبقى الالتزام خاصا بجزئيات العمل فقد يكون ملتزما في جانب وغير ملتزم في جانب آخر .

ولكن يتضح ما قررناه هنا نتناول مجموعة من المباحث التي تجلى لنا الموقف ، وبخاصة في دائرة الشعر حيث يدور الخلاف حول امكانية الجمع فيه بين مضمون خلقى ، أو دينى ، والصياغة الشعرية .

فماذا قيل في هذا الموضوع ؟ ..

## الناس وقضية الالتزام :

لقد تكلم الناس في قضية الالتزام قصار واكشأنهم في فكرهم الى مشرق ومغرب ، فالواقعيون الماديون لا يفرقون في قضية الالتزام بين الشاعر والنثر فترى « الواقعية الاشتراكية » وجوب التزام الشاعر شأنه في ذلك شأن النثر . فالشعر هو الحقيقة في صورة من صور التأمل . والشاعر يفكر وان يكن تفكيره في شكل صور ، وهو لا يبرهن على الحقيقة ، ولكنه يجلوها ، وبهذا يظهر للعيان مالا يراه سواء ، فالشاعر لا يصف الناس على ما يجب أن يكونوا عليه ، بل كما هم عليه . فالشعر الحديث في نظر هؤلاء هو شعر الحقيقة ، ولهذا لا يجعل الخيال في الشعر اذا كان كذبا أو متجاوزا نطاق المحسوس والمعقول ، والشكل والمضمون يجب أن ينسجما في الوحدة الفكرية ليدلا على الجمال . والجمال منحصر في الحياة والحقيقة . فجمال الشعر أن يصادف الانسان معانيه في الحياة ، لا أن يخلقه الفنان خلقا من تلقاء نفسه . والفن للفن يجعل من الشعر والأدب عامة فنا محايدا مستهترا بما يدور من معاني الصراع في سبيل اقرار الحرية . ولكن الشعر الحق هو الذي يربط بالكفاح لتحرير الشعوب ، فليس الشعر مقصورا على حدود اللذة الجمالية ، ولكنه يجب أن يخدم قضايا الانسان - كما يفهم من الخدمة - أنبل ما تكون وأشمل ما توجد . فمضمون الشعر والفن هو المصلحة العامة ، وهي نفعية ، ولكنها نفعية أحلت القيم الاجتماعية محل القيم الفردية المحضة ، فكان الشعر سلاحا من أسلحة اقرار العدالة الاجتماعية وقد اتخذ الشعراء لهم موقفا يتفق وحريرتهم في الخلق والابداع ولكن في داخل قفص النفعية والالتزام ، فصارت أجنحتهم مراوح ، وارتبط خيالهم بملابسات المجتمع المادية التاريخية » (١٠) .

«وقد ظهرت دعوة» التزام الشاعر في فرنسا بتأثير الواقعية الاجتماعية الجديدة حوالي عام ١٩٣٥م وكانت في تفاصيلها صدى مباشرا لاداء « ما ياكوفسكى » الذي دعا الى أن الشرط الأساسى لنتاج الشاعر هو « ظهور مسألة من مسائل المجتمع لا يتصور حلها الا باسهام الشعر في حلها » (١١) .

فهذه الواقعية تجعل الشعر ذا غاية اجتماعية واقعية محددة بحدود مسائل العصر وعلى ذلك مستوى الشعر والنثر .

(١٠) النقد الأدبى الحديث د . محمد غنيمى هلال / ٤٨٤ و ٤٨٥

(١١) المرجع السابق / ٤٨٥ و ٤٨٦ .

الوجوديون والالتزام : وفي الطرف المقابل نجد « الوجوديين » -  
ويلقب أدهم بأدب التزام ) .

التفريق بين النثر والشعر : يفرقون بين الشاعر والناثر إذ أن  
الشاعر يستغرق في تجربته ويراهنا من خلال وجدانه ، ويستعمل لغة  
موسيقية ايحائية ليصور هذه التجربة تصويرا تصير به شيئا من الأشياء ،  
مثل لوحة الرسام ، ولا يقصد الشاعر الا تصويرها على طريقته ، فتظل  
تحدث أثرها الجميل عن ذلك الطريق ، وهو حر في اختيارها ،  
كحريته في طريقة تصويرها ، ثم انها بطبيعتها تمر من خلال شعوره  
الفردى .

ولغتها « كثيفة » أى مقصودة لذاتها ، لا تشف في يسر عما وراءها  
كما يشف النثر - فلا يصلح - اذن - أن يلتزم الشاعر بما يلتزم به  
الناثر ، على حين هما مختلفان في طبيعة التعبير عن تجاربهما الأدبية  
والشاعر . في طبيعة عمله - يتخذ الموقف وسبلة لرسم الصورة الشعرية  
على حين يعده الناثر الغاية من كلمة . والشاعر لا يستخدم اللغة أداة ،  
بل لنا أن نقول : انه لا يستخدم الكلمات بحال ، ولكنه يخدمها .  
فالشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية ، وحيث ان البحث عن  
الحقيقة لا يتم الا بواسطة اللغة واستخدامها أداة ، فليس لنا - اذن -  
أن نتصور أن هدف الشعراء هو استطلاع الحقائق أو عرضها ، ولكن الناثر  
- دائما - وراء كلماته ، متجاوز لها ، ليقرب دائما من غايته في حديثه  
أما الشاعر فهو دون هذه الكلمات لأنها غايته والكلمات للتحدث خادمة  
طبيعة ، وهى لدى الشاعر عضية ، أبية المراس ، لاتزال على حالتها  
الوحشية ، لم تستانس بعد « ( ١٢ ) .

فالوجوديون يتركون للشعر الوجدانى ميدانه الحر الطليق  
ولا يقيدونه بالالتزام والواقعيون الماديون يرون التزام الشاعر والناثر  
على حد سواء - ولكن بقضايا قومه ، ووصف الناس كما هم . واذا كان  
التزام الواقعيين محدودا بقضايا قومه ، وواقع مجتمعه ، فان هذه  
الحدود تحيل الالتزام الى الزام .

واذا كان التزام الوجوديين يفرق بين النثر والشعر ، فان هذا  
التفريق لا مبر له - ولو اتخذت للغة وسيلة للتفريق - لأن النثر والشعر

مرتبطان بالانسان الأديب ، والالتزام لا يعرف من مصدر واحد الى جهة ولا يظهر في أخرى ، وكلا الجانبين أثر لمؤثر واحد هو ذلك الكيان الانساني .

التصور الاسلامى في ذلك : ولذلك ترى التصور الاسلامى لهذه المسألة تصورا مقتنعا حيث يجعل حكم ما يصدر عن الانسان في جانبه البياني واحدا ، لأن الشكل التعبيري في الشعر لا يعطيه حرية التحلل من الالتزام .

ولذلك نجد قول النبي صلى الله عليه وسلم « حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » ( ١٣ ) .

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » ( ١٤ ) .

وروى عن ابن سيرين أنه أنشد شعرا فقال له بعض جلسائه : مثلك ينشر الشعر يا أبا بكر . فقال ، ويلك يا لكح ، وهل الشعر الأكلام لا يخالف سائر الكلام الا في القوافي ، فحسنة حسن ، وقبيحه قبيح » ( ١٥ ) .

وقال الامام الشافعي : « الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » ويفسر القرطبي هذا فيقول : « يعنى أن الشعر ليس يكره لذاته ، وإنما يكره لمضمنااته » ( ١٦ ) .

وعلى هذا يكون الشعر في التصور الاسلامى - يالثر مرتبط بمضمونه ، فان كان المضمون موافقا للتصور الاسلامى ، ومراعيا للصياغة الفنية كان الالتزام الثقافى في الادب .

( ١٣ ) رواه اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث اسماعيل عن أهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره . انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٠/٧ .

( ١٤ ) المرجع السابق ١٥٠/٧ .

( ١٥ ) المرجع السابق / ١٤٨ .

( ١٦ ) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥١/٧ .

وهذا ينسجم مع النظرة الصحيحة لطبيعة النشاط الانساني الذى لا يستقيم تقسيمه وتجزئته بلا مبرر معقول .

ولذلك نجد أن العنماء المسلمين رأوا أن المضمون الشعري يأخذ أحكام الجواز والكراهة والتحريم عند تفسيرهم لقوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » ( ١٧ ) .

فيذكر القرطبي : « أن من الشعر ما يجوز انشاده ، ويكره ويحرم . روى مسلم من حديث عمرو بن اشريد عن أبيه قال : ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء ؟ »

قلت نعم . قال : « هيه » فأنشدته بيتا . فقال : « هيه » ثم أنشدته بيتا . فقال : « هيه » حتى أنشدته مائة بيت .

ونص هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحكم والمعانى المستحسنة شرعا وطبعاً ، وإنما استكثر النبى صلى الله عليه وسلم من شعر أمية ، لأنه كان حكيماً ، الا ترى قوله عليه السلام « وكاد أمية ابن أبى الصلت أن يسلم » .

### المعانى المستحسنة شرعا وطبعاً :

وقبل أن نتابع الاحكام التى ذكرها القرطبي نلفت الانتباه الى قول القرطبي فى مضمون الشعر الذى يعتنى به ، أى فى الشعر الملتزم من جهة المضمون وهو الذى يتضمن الحكم والمعانى المستحسنة شرعا وطبعاً .

فالمعانى المستحسنة شرعا هى المعانى التى يدعو اليها الشرع من أمور العقيدة ، والعبادة ، وصالح الأخلاق ، وهى فى ذاتها مستحسنة طبعاً ، والمعانى المستحسنة طبعاً لها سند من الشريعة إذ كل أمر على

( ١٧ ) سورة الشعراء / ٢٢٤ - ٢٢٧ .

الفطرة سيتحسن شرعا ، وبمعنى آخر نستطيع أن نقول أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم كما حددها القرآن الكريم من جهة التشريع تظهر في قوله تعالى : « ويحل لهم الطبيات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم » (١٨) .

فالتطبيقات كلها في دائرة الحل وهي مستحسنة طبعا والخبائث كلها في دائرة وهي مستقبحة طبعا .

فالتفرق - هنا - بين المستحسن شرعا والمستحسن طبعا ليس يسيرا . الا اذا قلنا ان المعانى المستحسنة شرعا . هي ماجاء بشأنها امر صريح واما المستحسنة طبعا فهي الامور التي يستحسنها الطبع ، ولا تخالف الشرع ، وليس فيها امر ونهى مباشرين ، كان يقف الاديب مأخوذا بمنظر كوني بديع فيعبر عن ذلك تعبيراً فنيا مؤثرا .

وان قال قائل ان هذا له وجه شرعى في قوله تعالى :  
« قل انظروا ماذا في السماوات والارض » (١٩) .

قلنا : ان هذا الفصل الدقيق بين الامرين عسير - كما أسلفنا - ولكن يبقى هذا الامر متميزا لدى الاديب عن النظرة العجلى لغير الاديب ، فان نظر الاديب سيمنحه معانى في الوصف تستحسن طبعا ، في ابراز النظام والتنسيق ، وروعة المشهد ، وحسن التركيب حتى لكانك تشاهد وتسمع آيات الجمال والابداع .

وهي في الوقت نفسه توقظ النفس من سباتها لتتفتح وتستنشق الحياة لان الجمال ، والاحساس به « من أوسع المنافذ الى النفس .. تهش له بفطرتها ، وتلتقى روحها بروحه في أخوة واستجابة واشتياق » (٢٠) .

ولذلك يلتقى الاستحسان طبعا والاستحسان شرعا في هذا الجمال الكوني البديع .

الم تر ان القرآن الكريم حافل بالدعوة للانسان أن يفتح بصيرته

- 
- (١٨) سورة الاعراف / ١٥٧
  - (١٩) سورة يونس/ ١٠١
  - (٢٠) منهج الفن الاسلامي/ ٢١٢



على آيات الله في الكون .. في أسلوب أخاذ يأخذ بمجامع النفس ،  
ويوقظها من الفها وعادتها فتفتتح للكون كأنه جديد (٢١) .

### الجمال والتناسق والنظام :

فاذا وجدنا الأديب قد جرى الناموس الكونى في جماله وتناسقه  
وتوازنه .. ويهدف الى انشاء انسان صالح ، اسان يتوافق من ناموس  
الكون ، لا يشذ عنه بطريق الانحراف ، ويتخذ وسيلته الى ذلك عرض  
« الجمال » « والقبح » بمعناهما الواسع ومجالتهما الشاملة : في  
المشاعر والأفكار والشرفات والسلوك ، بحيث تشتاق النفس في النهاية  
الى الجمال ، وتنفر من القبيح ، دون أن تحس « ضغطا » في هذا  
الاتجاه أو ذاك « (٢٢) .

كان أديبا ملتزما بالتصور الاسلامى للانسان والكون والحياة ،  
لان جمال الكون من أروع ألوان الجمال التى تهش لها النفس وتستجيب  
لها في فرحة وانطلاق ، ولكن الألف والعادة يفسدان التطلع الى ذلك  
الجمال الفذ ، فتتبدل الحواس لما ترى وما تسمع ، وثمر بكل شئ  
كأنما لا وجود له وتنسى بحكم التعود أنه رائع « وأنه جميل ، وعندئذ  
لا بد من ايقاظ النفس من سباتها لتفتتح و « تستنشق » الحياة :

وهذه مهمة الأديب الملتزم ، الذى يهमे أن يوقظ النفس من تيلدها  
لتفتتح وتستنشق الحياة ، فان الانسان حين تدرك حسه البلادة ينحصر  
في دائرة ضيقة رتيبة خاملة لا تنبض فيها الحياة ، ومن شأن ذلك أن  
يفسد نفسه جميعها ، فالنفس المتبلدة لا تجيش لحمل أمانة الخلافة  
في الأرض ، ولا تنزع الى الخير ، ولا تأمر بالمعروف ، ولا تنهى عن  
المنكر ، ولا تبني ، ولا تنمى ، ولا تحور ولا تبدل في هذه الأرض ،  
لان ذلك كله حركة جياشة فعالة مريدة ، والحركة لا تنشأ من التبدل ،  
والجيشان لا ينبع من الخمول .

فمن أجل خير هذه النفس وصلاحها ، ومن أجل رفع الحياة البشرية  
وترقيتها يسعى القرآن الكريم الى تحريك هذه الحواس المتبلدة

(٢١) انظر المرجع السابق/٢١٣ .

(٢٢) انظر المرجع السابق/٢٣٠ .

لتنفعل بالحياة في أعماقها ، وتتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء  
والاحياء .

وهنا يلتقى المستحسن شرعا بالمستحسن طبعاً في أروع صورة في  
ثنايا القرآن الكريم(٢٣) .

ويصبح الأديب الملتزم بهذه الرؤية في مجال واسع جداً لتصوير  
الحياة البشرية في شتى حالاتها ومجالاتها ، وتصوير النفس البشرية  
في شتى انفعالاتها وتقلباتها ، وتصوير القيم الانسانية في شتى  
مستوياتها ودلالاتها . . معنية كلها بنواميس الوجود ، وبفكرة  
« الجمال » الأصلية العميقة في بنية الكون والحياة والانسان .

مجال تلتقى فيه « الحقيقة » الكونية « بالجمال » الكونى ،  
بلا تعارض ، ولا اصطدام ، لأنه لا تعارض في فطرة الكون بين الحقيقة  
والجمال(٢٤) .

ومعنى ذلك يصبح الأديب الملتزم برؤية اسلامية الى الكون  
والحياة والانسان في سعة ، وتعبير آخر لا يكون الالتزام بهذه الرؤية  
تضييقاً على الأديب ، أو الزاماً له .

انه فتح للافاق الواسعة ، يعيش فيها الأديب مع الجمال في  
الكون والجمال في الانسان ، لأن مقاييس الجمال في الانسان هي ذاتها  
مقاييس الكون كله يقول الأستاذ محمد قطب وهو يرسم منهج الفن  
الاسلامى : « فحياة الانسان لا تكون جميلة - بادىء ذى بدء - الا اذا  
كانت « نظاماً » طليقاً من « الضرورة » .

نظاماً ، فالفوضى المنفلتة من كل قيد ليست جمالا ، ولا كذلك  
الحياة في داخل قيود الضرورة .

الفوضى صورة من صور الوجود لا يعرفها الكون ولا يعترف بها  
ناموس الوجود . فكل شيء فيه منظم منسق موزون .  
والقيد القاهر صورة من صور الوجود لا يعرفها الكون كذلك ،  
ولا يعترف بها ناموس الوجود ، لأنه خالى من عنصر الضرورة في خلقه  
وفي نظامه سواء .

(٢٣) أنظر منهج الفن الاسلامى/٢١٢ و ٢١٣ .

(٢٤) أنظر منهج الفن الاسلامى/٢٣٠ و ٢٣١ .

وانما هو النظام .. النظام الدقيق الذى تتوازن فيه القوى  
وتتناسق الطاقات ، ويخرج منها كيان مترابط ، حى متحرك ،  
طليق ..

وحين ينفلت الانسان من كل قيد .. اجتماعى ، او اقتصادى -  
او انسانى وينطلق يستجيب لكل هوى فى نفسه وكل نازعة .. فانه  
من ناحيته لا يعود انسانا ، لأن الانسان ذو قوة ضابطة يستخدمها بوعيه  
وارادته لتنسيق الحياة الانسانية ، واتساق التوازن فيها ، ذلك  
التوازن الذى يقتضى الا تصطمم أهواء الناس ، ولا يتفكك المجتمع ،  
ويتحمل نتيجة الشرود كل واحد من أفرادها على هواه .

ومن ناحية أخرى يكون خارجا على ناموس الكون ، الذى لا تشرد  
أفلاكه على هواها ، ولا تنفلت مما يربطها بغيرها من الأفلاك من  
رباط جاذب متين .

وحين يعيش الانسان حياته فى داخل نطاق الضرورة : ضرورة  
الطعام أو الشراب أو الجنس .. لا يرتفع عنها الى مستوى « المشاعر  
النفسية » والعواطف والادراك والوعى ، فان من ناحيته لا يعود  
انسان ، لأن الحيوان وحده هو الذى يعيش ضروراته على هذا  
النحو ، لا يتصرف فيها ولا يختار موقفه منها ، ولا يدرك بوعيه  
أهدافها ، ولا تصاحبها فى « نفسه » مشاعر ولا عواطف ولا أفكار ، ومن  
ناحية أخرى يكون خارجا على ناموس الكون ، الذى لا تتحرك أفلاكه  
على هذا النحو المبين لضرورة قاهرة ، وانما عن اختيار من خالقها ،  
وعن تجاذب حى بينها ، يشبه عواطف الاحياء .

ومن ثم يتعين الجمال فى الحياة الانسانية بصفة عامة انه نظام  
مطلق من الضرورة . هذا النظام يقتضى موازنة الكيان البشرى كله فى  
داخل النفس وفى واقع الحياة .

يقتضى فى داخل النفس الا يصبح الانسان جسدا وحده ، او عقلا  
وحده ، او روحا بمفردها ، انما كيانا واحدا ينتظم كل هؤلاء .

فحين تغلب على الانسان شهوة الجسد الغليظة . او تأملات  
العقل المنقطعة عن واقع الأرض ، أو سباحات الروح التى تعزل الانسان  
عن الواقع وتحوله الى سلبية لا أثر لها فى عالم الحس ، فكل ذلك  
اختلال يفسد ترابط النفس وتوازنها .. ومن ثم فهو غير جميل .

وحيث يتسبب الانسبان في افساد توازن المجتمع الاقتصادي او السياسى او الخلقى ، فيشيع الفاحشة الاقتصادية بتركيز الثروة هنا وسلبها من هناك ، او الفاحشة السياسية باقامة الطغيان في الارض ، واذلال الضعفاء ، او الفاحشة الخلقية بنشر الجريمة وتيسيرها والدعوة اليها . فهو في كل حالة من هذه الحالات غير جميل . . لانه مخالف لناموس الحياة .

والنظرة الى الجمال في الحياة الانسانية على هذا المستوى الشامل المستمد من حقيقة الكون ، كقيلة بأن توسع مفهومنا الجمالى ولا تحصره في حدوده الصغيرة المعروفة «(٢٥) .

### الحب :

ويتصل بمفهوم الجمال كلام الأديب في « الحب » فهل الالتزام بالرؤية الاسلامية يقيد الأديب . اذا عبر عما يمر به من تجارب شعورية في هذا السبيل ؟

وللاجابة عن هذا السؤال نذكر أن تاريخ الأدب قد عرف نموذجين في ذلك .

### الأدب المكشوف :

نموذج الأدب لقب بالأدب المكشوف ، أو الأدب العارى والذى يمثله امرؤ القيس والنابغة الذبياني في بعض المأثور من شعرهما الجاهلى وكأبى نواس في شعره الغزل والغلمانى وشعر الخمريات ، وكبشار وابن الرومى والحسين بن الضحاك وحماد عجرد ، وابن الحجاج وابن سكرة وغيرهم من الشعراء العباسيين في شعرهم المناجى الخليع (٢٦) .

### حملة المازنى على الأدب المكشوف :

وقد حمل على هذه الدعوة جماعة من النقاد والأدباء منهم المازنى الذى جعل هذا الأدب المكشوف شبيها بالنزعة الى العرى عن اللباس ، وقال : ان النزوع الملحوظ في أدب القصة الادبية الى تناول

(٢٥) منهج الفن الاسلامى/ ١٣٦ - ١٣٨ .

(٢٦) أنظر قضايا النقد الادبى د . بدوى طبائه/ ١٣٠ .

المسائل الجنسية بلغة صريحة ، أو الى الأدب المكشوف - كما يقولون -  
شبيه بالنزوع . الى العرى بل الحركتان فرعان من أصل واحد ، وهما  
في القرب متسايرتان بخطا متقاربة « (٢٧) .

وإذا كان الأدب المكشوف بتزيين من الشيطان ، فان العرى -  
كذلك - بتزيين من الشيطان ولعلنا نتذكر ما حذرنا القرآن الكريم منه في  
قوله تعالى: « يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من  
الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » (٢٨) .

« ثم يقول المازنى انه لا يرى مزية للكشف لا تنال بالتحفظ والضبط  
بل انه ليرى في ذلك خسارة للانسان خسارة لا تعوض ، لان الانسان  
عرف الثياب ، فهو سترها جسمه ، ولو ظل عاريا كغيره من الحيوان  
لما كان للمسائل الجنسية وذكرها أو حتى رؤيتها أى تأثير في نفسه ،  
فانا نرى الحيوانات عارية ولا نخجل ، ونشهد تزيها فلا تتحرك لذلك  
شهوأتنا ، وكان يمكن أن يكون هذا نظر الانسان الى الانسان لو ظل  
عاريا ولكنه استتر ، فكان من فضل الثياب ان صرفت ذهنه الى حد  
كبير عن جسمه وشهوته الى ما هو أسمى وأعلى ، وأن جعلت ما في  
الثياب شيئا يستحى منه ، ولا يذكر الا بعبارة مستورة مثله ، وصحيح  
أن الثياب أغرت بالتطلع والكشف ولكنها حجبت ، فوجهت النفوس  
والعقول ووجهات أخرى وكان من فضلها هذا الرقى .

ولا فرق عند المازنى بين أن تصف المسائل الجنسية شاذة كانت  
أو غير شاذة وصفا صريحا في قصد ، وأن تعرى انسانا في الطريق  
وتنزع عنه ثيابه وإذا كان أحد يرى فرقا بين الحالين فان المازنى  
لا يراه مادام الانسان يلبس الثياب ويتستر بها فلا بد أن يتوخى في  
كتابته الكبح والضغط ، والثياب جمال مزيد ، وقد التمسها الانسان أول  
ما التمسها للزينة لا للمنفعة .

والجسم الانسانى في الثوب المناسب أجمل منه وهو عريان ،  
واقفن - أيضا - .

(٢٧) المرجع السابق/١٣١ .

(٢٨) سورة الاعراف/٢٧ .

وكذلك الكتابة الصريحة أقل جمالا وفتنة من اللغة المستورة ،  
ومزية التحفظ في الكتابة أنه يجعلها أقوى وأفضل وأنس وأسبى « (٢٩) » .

### تحفظ يسير :

ومع موافقتي للنتيجة التي يصل إليها المازني في التزام الأدباء  
من كتاب وشعراء بالخلق والحياة في مجتمع يلتزم بالثياب وينكر  
العري فاني أضع تحفظا يسيرا على عبارته « ولو ظل عاريا كغيره من  
الحيوان لما كان للمسائل الجنسية وذكرها أو حتى رؤيتها أي تأثير  
في نفسه » لأننا لو سلمنا له بأن المسائل الجنسية مع العري تشير إلى  
ابتذال ، ويشمئز أصحاب النفوس الصحيحة منها ويعافونها فاننا نرى  
أن التأثير في النفس لا يقتصر على الرؤية وحدها بل الأساس فيها  
الغريزة الجنسية الكامنة في النفس ، والرؤية تثيرها وتهيجها . وتدعوه  
إلى أشباعها .

يأتى هذا الاستدراك خشية أن يقال ان السبيل إلى ألف الأمور  
الجنسية ألا توجد الحساسية نحو لعري ، وكذلك نحو الأدب المكشوف  
الذي يتناول الجنس تبادلا صريحا لا حياء فيه .

بل قد حدث ذلك - فعلا - فالكاتب المغرض سلامة موسى يرى أنه  
ليست للأدب علاقة بالأخلاق ، لأن ستر الحقائق يجعلها أجدب للنفس  
من سفورها ، وأن أبعد المسائل الجنسية عن الأدب ، أو عدم المصارحة  
في الكلام فيها ، يجعل الذهن أعلق بها ، ويفتح الطريق للكاتب المنحط  
الذي يلجأ إلى الرجس ، والأدب « السافر » يجعلهم يحسون الحياة  
كما هي في الحقيقة والواقع ، فلا يحدث الانحراف الذي تجلبه  
المجانبة ، ان الأدب كالعلم يجب أن يبقى حرا . ثم ان علم النفس  
الحديث يبين لنا- أن المصارحة في المسائل الجنسية خير من المواربة « وأن  
معظم الامراض الجنسية تنشأ من المجانبة والابتعاد » (٣٠) .

أرايت كيف يموه الكاتب - هنا - ويتغافل عن الحقائق الأدبية ؟  
فهل يجهل أن الأدب يغذى مشاعر القراء ويسمو بهم ، أو ينحط بهم

---

(٢٩) قضايا النقد الأدبي للأستاذ الدكتور بدوي طبانة /

١٣١ - ١٣٢ عن مقال للمازني في ( البلاغ ) ١٩٣٥/٧/٦ .

(٣٠) قضايا النقد الأدبي/ ١٣٤ - ١٣٥

فكيف يكون الابتدال في التعبير ، ودوام قرع الاسماع بالادب المكشوف  
سبيلا الى السمو الذي خرج به في موضع آخر ليموه على القارئ  
فيقول :

« ان موضوع الأدب هو موضوع الطبيعة البشرية في حقيقتها ،  
والتسامى بهذه الطبيعة الى ما هو أرقى منها مما يبصره الأديب  
بما يشبه بصيرة النبي » . فهل أصحاب الرسالات من الأنبياء يطلقون  
التعبير المكشوف عن مسائل الجنس والغريزة . أم هي الجراءة المكشوفة  
بلا حياء والتي تجعل الكاتب لا يستحي من وضع بصر الأديب بجوار  
بصيرة النبي ؟

« ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » (٣١) .

نموذج لفحش القول :

وهل يسوى السامع بين قول امرئ القيس :

فمئلك حبلى قد طرقت ومرضعا

فألهيتها عن ذي تمنائم مغيل (٣٢)

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له

بشوق وشق عندنا لم يحول

نموذج لعفة القول :

وقول عنقرة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى

وبيض الهند تقطر من دمي (٣٣)

فوددت تقبيل السنيوف لأنها

لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(٣١) . سورة النساء / ٢٧ .

(٣٢) . ديوان امرئ القيس والمفيل : المراضع وأمه ، أو الذي

يرضع وأمه تجامع . أى المراضع والحبالى معجبات به .

(٣٣) . معلقات العرب للدكتور بدوي طبانة من ١٨٨ البيت

٥٣ و ٥٤ .

فمثل قول امرئ القيس تسمئز منه النفس السوية مهما بلغ من جودة الصناعة الشعرية ، فإن صدمة المعنى في تفحشه تذهب أى جودة فى الصناعة الشعرية ، ولقد عجبت من « قدامة » حين التمس العذر لامرئ القيس ورأى أن فحش المعنى لا يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب رداغته فى ذاته (٣٤) ، لأننا لا نستطيع أن نصف العمل الذى قام به النجار بالجودة ، بل سيبقى حكما على العمل فى أن صنعته جيدة ومادته رديئة ، وأن رداغ المادة فى الخشب تذهب حلوة الصنعة . ولا تمتع صاحب النجارة بِنجارته لأنها لن تستمر طويلا إذا كان الخشب رديئا ، وستبقى مؤاخذتنا للنجار على اهماله فى اختيار الخشب الرديء مما يقدح فى صنعته ، لأنه لو كان صانعا ماهر لاختار لحسن صنعته جودة المادة حتى لا يكون كعمد الدر الخنازير ، هذا مع الفارق الكبير بين صناعة النجار ، وصناعة الشاعر .

ان الشاعر يخاطب النفس الانسانية التى لا تعرف الالفاظ مفرغة عن معانيها ، واذا أصيبت النفس من فساد المعنى ، فكيف لها أن تدرك حسن الصياغة ؟

واذا كان امرؤ القيس رديء المعنى فاحشا فى هذين البيتين فان عنقرة جمع فى بيتيه حرارة المعنى ، وصدق الشاعر فى عفة وحياء مع صناعة شعرية تأسر النفس وتأخذ باللب .

فقد تعانق المعنى العفيف مع الصورة الموحية مع التعبير الشعرى الساحر . فهو يذكر حبيبته فى أشد المواقف ، ويكفيه منها ابتسامتها التى رآها فى لعان السيوف .

ان حبه لحبيبته لم يكن حُب المغامرات الليلية ، والسكر ، والنوم ، وخمول الذكر . بل حبه لحبيبته من نوع حبه للقتال . فشوقه الى تقبيل السيوف كشوقه الى رؤية ابتسامه حبيبته .

الحبيبة عند الراقى :

والحبيبة عند كثيرين من أصحاب هذا الشعر العذرى شاعرة روخانية تسمى هى وضاحبها بالحب فوق المادة ولا يريدان الا وحي

(٣٤) نقد الشعر لابى الفرج قدامة بن جعفر: تحقيق كمال مصطفى/٢١٧ .



النفس الجميلة للنفس الجميلة . يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى  
فى مقدمة أوراق الورد :

« ما أرى هذا الحب الا كورق الورد فى حياته ورقته وعطره  
وجماله ، ولا أوراق الورد الا مثله فى انتشارها على أصابع من يمساها  
اذا جاوز فى مسها حدا بعينه من الرفق ، ثم فى تفترها على الحاج  
من يتناولها اذا تابع الحاجه عليها ولو بالتنهيد ، ثم فى بناء عقدها  
على أن تتحلل أو تذوى ان لم يمساها مع بنائها الرفيق حذر من أن  
تكون فى يده . . لانها على يده فن لا وردة ( ٣٥ ) . ويقول الرافعى فى  
قصيدة « قال القمر . . . » :

يا ليل ، هيجت اشواقا أداريها  
فسل بها البدر : ان البدر يدريها  
راى حقيقة هذا الحسن غامضة  
فجاء بظهرها للناس تشبيها  
فى صورة من جمال البدو ننظرها  
وننظر البدر بيد وصورة فيها



ياتى بمل سماء من محاسنه  
لمهجتى وأراه ليس يفيها  
وراحة الخلد تاتى فى أشعته  
تبغى على الأرض من فى الأرض يفيها  
وكم رسائل تلقىها السماء به  
للعاشقين فيأيتهم ويلقىها



يقول للعاشق المهجور مبتسما  
خذنى خيالا أتى ممن تسميها  
وللذى أبعده فى مطارحها  
يد النوى ، أنا من عينيك أدنيها

---

( ٣٥ ) أوراق الورد للرافعى / ٢٥ .

ولذى مضه ياس الهوى فسلا  
انظر الى ولا تترك تمنيتها



اما انا فاتانى البدر مزدهيا  
وقال : جئت بمعنى من معانيها  
فقلت من خدما ام من لواظها  
ام من تدلها ، ام من تابيها  
ام من معاطفها ، ام من عواطفها  
ام من مرآشفها ، ام من مجانيها  
ام من تفترها ، ام من تكسرها  
ام من تلفتها ، ام من تثنيها ؟  
كن مثلها لى • جذبا فى دمي وهوى  
او كن دلالا وكن سحرا وكن تيه



فقال وهو حزين : ما استطعت سوى  
انى خطفت ابتساما لاح من فيها

فالحبيبة فى عفة وحياء لم يستطع القمر الا خطف ابتسام لاح من  
فيها ان الشاعر - هنا - يعبر عن شعور صادق ، وعن عاطفة قوية  
كسيت بالحياء فصارت منضبطة بمكارم الاخلاق .

انها نفوس تحب الجمال وتجذب اليه ، ولكن لا تصل الى الفوضى ،  
لان طريق الاستمتاع بهذا الجمال هو الطريق المشروع وحده ، وهو  
الطريق الذى يلتزم به الاديب ليحس بالجمال ، ولينقل هذا الاحساس  
الى الآخرين .

الالتزام بالتصور الاسلامى انطلاق مذهب رشيد :

وفى هذا دلالة على ان الالتزام بالتصور الاسلامى يجعل الاديب فى  
قمة السمو الادبى حيث يعبر عما يجده فى نفسه ، وما ينفعل به ، فى  
نظام هو الجمال النفسى ، والجمال الاجتماعى .

وإذا أردنا اليقين في هذه المسألة فلننظر في صفحات التاريخ ، لنرى كيف تكون الفوضى الجنسية سيلا لتدمير النفوس ، والمجتمعات التي تبني عليها .

« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (٣٦) .

يقول الأستاذ محمد قطب : « كل أمة أطلقت لنفسها شهوة عشق الجمال الجسدى والجمال الجنى وكانت نتيجتها واحدة في النهاية : تحطمت وغلب عليها غيرها من الأمم القوية المتماسكة التي لم تفسد بعد .

كذلك فعلت اليونان القديمة ، وروما القديمة ، والعالم الاسلامى حين طغت عليه الشهوات ، وكذلك فعلت فرنسا في العصر الحديث ، وكذلك تصنع بقية الدول الغربية التي تبدو اليوم قوية متماسكة وهي منحلة من الداخل ينخر في كيانها السوس » (٣٧) .

وكيف تتحقق الغايات النبيلة من علاقة الرجل بالانثى في السكن النفسى والمودة والرحمة ان اقتصرتم نظرة الرجل اليها على الجانب الحسى ، في صورة ممتهنة ؟

ان الاحساس بالجمال المتكامل ، والتعبير عنه من سمات الادب الملتزم بالرؤية الاسلامية التي ترفع من قدر الانسان وتسعده .

ان النظرة الاسلامية تعطى الاديب حرية التعبير عن مشاعره باعتباره انسانا مكرما مؤثرا في غيره ، وفي محيطه الاجتماعى ، ليسعد ، ويسعد ، دون ضرر أو اضرار .

يقول البارودى في مقدمة ديوانه (٣٨) :

« الشعر لمعة خيالية يتالق وميضها في سماوة الفكر ، فتنبعث أشعتها الى صحيفة القلب فيفيض بلائها نورا خيطه بأسلة اللسان فينفث باللوان من الحكمة ينبجج بها الحالك ، ويهتدى بدليلها السالك .

(٣٦) سورة آل عمران/ ١٣٧ .

(٣٧) منهج الفن الاسلامى/ ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣٨) ديوان البارودى ١/ ٥٥ - ٥٦ وانظر في الادب الحديث .

د . عمر الدسوقي ١/ ٢٣٤ .

وخير الكلام ما ائتلفت الفاظه وائتلفت معانيه ، وكان قريب  
الساخذ ، بعيد المرعى ، سليمان من وصمة التكلف ، بريئا من عشوة  
التعسف ، غنيا عن مراجعة الفكرة فهذه صفة الشعر الجيد ، فمن آتاه  
الله منه حظا ، وكان كريم السمائل ، طاهر النفس ، فقد ملك أعنة  
القلوب ، ونال مودة النفوس .. ولو لم يكن من حسنات الشعر الحكيم  
الا تهذيب النفوس ، وتدريب الأفهام وتنبية الخواطر الى مقام الأخلاق  
لكان قد بلغ الغاية التى ليس وراءها لذى رغبة مسرح ، وارتابا (٣٩)  
الصهوة التى ليس دونها لدى همه مطمح .

فالشعر لدى البارودى لا تنفصل فيه المشاعر عن الفكر ، ولا ينفصل  
فيه القلب عن العقل ، والائتلاف اللفظى والمعنوى من خصائص الجيد  
منه ومن أهم غاياته تهذيب النفوس وتنبية الخواطر الى مكارم  
الأخلاق .

#### علاقة الرجل باؤنثى فى التصور الاسلامى :

واذا قال قائل : ان ذكر المرأة وذكر المشاعر نحوها سواء كانت  
حسية أم معنوية يثير فى النفس الغريزة الجنسية ويفتح الطريق أمام  
السامعين لاشباعها فهل هذا يتفق مع التصور الاسلامى ؟

وأقول : ان الحكم الذى ذكرناه - من قبل - فى أن حكم الشعر  
حكّم الكلام حلاله حلال وحرامه حرام ولكن فارق التأثير بين الشعر  
والكلام المنثور يجعلنا نركز على أن الشاعر الملتزم بالتصور الاسلامى  
ان ذكر المرأة فى شعره التزم بمفهوم الاسلام نحوها ، ونحو العلاقة  
فيما بينهما فصان حياءها ، وكرامتها ، وعفتها ، وصان العلاقة بينهما  
فى صفائها وقيامها على المودة والرحمة ، فان أثرت الغريزة الجنسية  
بهذه المفاهيم فان تصريفها سيكون فى طريقه الصحيح الذى رسمه  
الاسلام لهما .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل  
بينكم مودة ورحمة » (٤٠) .

وعلى ذلك نفهم ما جاء فى قصيدة كعب بن زهير أمام  
النبي صلى الله عليه وسلم :

(٣٩) علا وأشرف . انظر هامش الديوان رقم ١٣ ج ١/٥٦ .

(٤٠) سورة الروم/٢١ .

بانيت سعاد فقلبي اليوم متبول  
متيم اثرها لم يغد مكبول  
وما سعادة غداة البين اذ رحلوا  
الا اغن غضيض الطرف مكحول  
تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتس  
مت كأنه منهل بالراح معلول (٤١)

فيذكر القرطبي ان كعب بن زهير جاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع ، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح (٤٢) .

ويقول القرطبي :

« وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد فقهاء المدينة العشرة ثم المشيخة السبعة شاعرا مجيدا مقديما فيه ، وللزبير بن بكار القاضي في أشعاره كتاب ، وكانت له زوجة حسنة تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها ، وله فيها أشعار كثيرة ، منها قوله :

تغلغل حب عثمة في فؤادي  
فباديه مع الخافي يسير  
أكاد اذا ذكرت العهد منها  
أطير لو أن انسانا يطير  
تغلغل حيث لم يبلغ شراب  
ولا حزن ولم يبلغ سرور

وقال ابن شهاب : قلت له : تقول الشعر في نكك وفضلك ؟

فقال : ان المصدر اذا نفث برا .

(٤١) بانيت : فارقت فراقا بعيدا . متبول : اسقمه الحب وأضناه  
اغن : طيب صغير في صوته حسن . تجلو : تصقل وتكشف .  
عواض : جمع عارضة . الاسنان : ظلم ماء الاسنان ويريقها ورقتها .  
المنهل : المسقى . الراح : الخمر . أنظر . الاسعاد شرح بانيت سعاد  
للأستاذ مصطفى محمد عمارة ص ٢٩ - ٣٠ .  
(٤٢) أنظر تفسير القرطبي ١٤٧/٧ .

وهكذا نرى أن المعانى المستحسنة طبعاً يستوعبها الشعر في التصور  
الإسلامى بها الشعر حسناً يحفظ ويغنى به .

### الشعر المذموم :

وقبل أن نذكر النوع الآخر من هذا الشعر الحسن ، وهو  
المستحسن شرعاً - كما ذكر القرطبي - أذكر ما قاله - كذلك - في الشعر  
المذموم الذى لا يخل سماعه ، وضاحبه ملوم ، فهو المتكلم بالباطل حتى  
يفضلوا أجبن الناس على عنتره ، وأشحهم على حاتم ، وأن يبهتوا  
البريء ، ويفسقوا التقى ، وأن يفرطوا في القول ، كما روى عن  
الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله :

فبتن بجانبي مصرعات  
وبت أفض أغلاق الختام

فقال : قد وجب عليك الحد . فقال : يا أمير المؤمنين قد درأ الله  
عنى الحد يقوله « وأنهم يقولون ما لا يفعلون » (٤٣) .

وذكر الزبير بن بكار قال : حدثنى مصعب بن عثمان أن عمر ابن  
عبد العزيز لما ولى الخلافة لم يكن له إلا عمر بن أبى ربيعة  
والأحوصى ، فكتب الى عامله على المدينة : انى قد عرفت عمر والأحوصى  
بالشر والخبث فاذا أتاك كتابى هذا فاشدد عليهما وأحملهما الى فلما  
أتاه الكتاب حملهما اليه ، فاقبل على عمر ، فقال : هيه :

فلم أر كالتجمير منظر ناظر  
ولا كليا الى الحج أفلتن ذا هوى  
وكم مالىء عينيه من شيء غيره  
إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

أما والله لو اهتممت بحجك لم تنظر الى شيء غيرك ، فإذا لم  
يقلب الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون ؟ ثم أمر بنفيه . فقال :  
يا أمير المؤمنين : أو خير من ذلك ؟ فقال : ما هو ؟ قال :

أعاهد الله أنى لا أعود الى مثل هذا الشعر ، ولا أذكر النساء

(٤٣) سورة الشعراء/٢٣٦ وأنظر تفسير القرطبي ١٤٨/٧ - ١٤٩ .

في شعر أبدا ، وأجدد توبة ، فقال : أو تفعل ؟ : قال : نعم ، فعاهد الله على توبته وخلاه .

ثم دعا الأحوصى ، فقال : هيه ؟

الله بينى وبين قيمها يفر منى بها وأتبع

بل الله بين قيمها وبينك ؟ ثم أمر بنفيه فكلمه فيه رجال من الأنصار فابى ، وقال : والله لا أردّه ما كان نى سلطان ، فانه فاسق مجاهر . فهذا حكم الشعر المذموم وحكم صاحبه ، فلا يحل سماعه ولا انشاده في مسجد ولا غيره ، كمنثور الكلام القبيح ونحوه « (٤٤) .

يقول أبو عمر : « ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أول النهى وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة الا وقد قال الشعر ، أو تمثل به ، أو سمعه فرضية ، ما كان حكمة ، أو مباحا ، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى ، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله « (٤٥) .  
المعاني المستحسنة شرعا :

وبعد أن تناولنا المعاني المستحسنة - طبعا - ورأينا كيف يكون الالتزام فيها واضحا عند الأديب نتناول الآن - المعاني المستحسنة شرعا - وكيف يكون الالتزام فيها .

ان المعاني المستحسنة شرعا - كما قسمنا من قبل - هي المعاني التي يكون للشرع فيها أمر مباشر ، وبمعنى آخر يكون المضمون الأدبي مشتملا على معنى من المعاني الشرعية المأمور بها ، ومعنى ذلك أن يكون الأدب مواكبا لسير الدعوة وتوجيهاتها للناس ، ومواجهتها لأعدائها ممن وقفوا عقبة في طريقها مستخدمين القوة والكلمة .

من أوائل الشعراء في الاسلام :

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر الذي يرد به حسان على المشركين : « انه لاسرع فيهم من شق النيل » (٤٦) .

(٤٤) الجامع لاحكام القرآن ١٤٩/٧ - ١٥٠

(٤٥) المرجع السابق ١٤٧/٧ .

(٤٦) في صحيح مسلم « عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : « اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق بالنبل صحيح

مسلم ٤٨/١٦ .

وعن ابي عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشى بين يديه ويقول :

خلوا بنى الكفار عن سيئه  
اليوم نضريكم على تنزيله  
ضربا يزيل الهام عن مقيله  
ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر : يا ابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل » (٤٧) .

وقال ابو الحسن المبرد لما نزلت والشعراء جاء حسان ، وكعب بن مالك ، وابن رواحة ليكون الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا نبي الله أنزل الله تعالى هذه الآية ، وهو تعالى يعلم أننا شعراء ؟ فقال : « أقرعوا ما بعدها » إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات « الآية - أنتم » وانتصروا من بعد ما ظلموا « أى بالرد على المشركين . قال النبي صلى الله عليه وسلم (٤٨) .

« انتصروا ولا تقولوا الا حقا ولا تذكروا الالباء والأمهات » فقال حسان :

هجوت محمدا فاجبت عنه  
وعند الله في ذاك الجزاء  
وان أبى ووالدتي وعرضي  
لعرض محمد منكم وقاء  
أشتمته ولسنت له بكفاء  
فشركما لخيركما الفداء  
لسانى صارم لا عيب فيه  
ويحرى لا تكدره الدلاء

(٤٧) رواه الترمذى وصححه وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٥١/٧  
(٤٨) فى سنن الترمذى ٦٤/٨ قول النبي صلى الله عليه وسلم والذي رواه أنس - وفيه « فلهى أسرع فيهم من نضح النبل » وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .



وقال كعب : يا رسول الله إن الله قد أنزل في الشعر ما قد علمت  
فكيف ترى فيه ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان المؤمن يجاهد بنفسه  
وسيفه ولسانه ، والذي نفسى بيده لكان ما ترمونهم بل نضح النبل » .

وقال كعب :

جاءت سخينة كى تغالب ربهما ويغلبن مغالب الغلاب

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا » (٤٩) .

فكان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الأنصارى ،  
وكعب بن زهير وغيرهم من الشعراء الأوائل الذين حملوا مفاهيم  
الاسلام وضمنوها أشعارهم ، وحملوا على أعداء الاسلام بشعرهم .

التزامهم :

وكان فهمهم للالتزام اندينى يتناول الجانب الايجابى المتمثل فى  
بث المفاهيم الاسلامية الجديدة فى أشعارهم ، ويتناول كذلك التصفية  
والتنقية لما كانوا عليه فى الجاهلية من طريقة التعبير ، ومن مضامين  
الشعر السلبية فاذا كانت العفة مفهوما ايجابيا للنفس التزموا به فان  
الفحش مفهوم سلبى تطهروا منه ، وطهروا أشعارهم منه ، وبمعنى  
آخر نقول : ان فهمهم للالتزام بمبادئ الاسلام عرضا وتقديما للناس  
يتسع ليشمل كذلك عدم المخالفة لآى فكرة اسلامية ولو كان مضمون  
القصيدة من المعانى المستحسنة طبعا .

ولقد برزت هذه التنقية لديهم ونضرت على سبيل المثال موقفا  
مع حسان بن ثابت رضى الله عنه ، « فيروى أن حسانا مر بفتية يشربون  
الخمير فى الاسلام فنهاهم فقالوا : والله لقد أردنا تركها فزينها لنا قولك :

ونشربها ففتركننا ملوكا وأسد ما ينهنهنا اللقاء

فقال : . والله لقد قللتها فى الجاهلية ، وما شربتها منذ أسلمت وكذلك

(٤٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ٧/١٥٢ - ١٥٣ .

قيل : ان بعض هذه القصيدة قاله في الجاهلية ، وقال آخرها في الإسلام  
في فتح مكة « ( ٥٠ ) .

وإذا كانت هذه الرواية تثبت الأثر القوي للمضمون الشعري الذي  
يؤكد ما نقول به من معنى الالتزام بمفهومه الكامل فانها تدل - أيضا -  
على التنقية والتصفية والبراءة مما قيل في الجاهلية ، ويخالف المبادئ  
الجديدة، و لعل استمرار وجودها في القصيدة مع تنبيه حسان الى ما قيل  
في الجاهلية وما قيل في الإسلام لبيان الحالين ، وكيف خرجوا من  
الظلمات الى النور .

من شعراء العصر الحديث « البارودي » :

وظل الأدب بشعره ونثره يؤدي دوره في بث المفاهيم الإسلامية  
على مر العصور ( مع تفاوت في قوته وضعفه من عصر الى آخر ) حتى  
كان العصر الحديث وجاء البارودي ليضمن شعره - كذلك من هذه  
المعاني فيقول بعد أن نفى الى سر نديب :

يقول أناس أنني ثرت خالعا  
وتلك هنات لم تكن من خلألقى  
ولكنني ناديت بالعدل طالبا  
رضا الله واستنهضت أهل الحقائق  
أمرت بمعروف وانكرت منكرا  
وذلك حكم في رقاب الخلائق  
فان كان عصيانا قيامي فأنى  
أردت بعصيانى اطاعة خالقي  
وهل دعوة الشورى على غضاضة  
وفيها لمن يبغي الهدى كل فارق ؟  
بلى انها فرض من الله واجب  
على كل حى من مسوق وسائق  
وكيف يكون المرء حرا مهذبا  
ويرضى بما يأتي به كل فاسق ؟  
فان نافق الأقوام في الدين غدرة  
فأنى بحمد الله غير منافق

- ( ٥٠ ) . انظر ديوان حسان بن ثابت ١٩/١ .

على انني لم آل نصحا بعشر  
 ابي غدوهم ان يقبلوا قول صادق  
 راوا ان يسوسوا الناس قهرا فاسرعوا  
 الى نقص ما شادته ايدي الوثائق  
 فلما استمر الظلم قامت عصاة  
 من الجند تسعى تحت ظل الخوافق  
 وشايعهم اهل البلاد فاقبلوا  
 اليهم سراعا بين ات ولا حرق  
 يرومون من مولى البلاد نفاذ ما  
 تالاه من وعد الى الناس صادق

فهذه الابيات التي قالها بعد ان اتهم بانه يطمع في الملك ، وخلع توفيق (٥١) قد ضمنها مجموعة من المبادئ الاسلامية التي يقوم عليها الحكم مثل : العدل ، وابتغاء مرضاة الله ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والشورى ، والغضب لله ، وغدرة النفاق في الدين ، والنصح ، والصدق ، والظلم .

شوقى :

وهذه المعاني الاسلامية الباهرة تجعلنا نقول ان الالتزام واضح فيها وجاء شوقى فنظم روائعه الاسلامية ، وتولت مواكب الشعراء تنشر الاغريد الدينية ، فنظم حافظ « العمرية » ونظم احمد محرم ديوان « مجد الاسلام » . فما قاله شوقى ، يفسر بشعره غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويرد على المعارضين فيقول :

قالوا :

غزوت ، ورسل الله ما بعنوا  
 لقتل نفس ، ولا جاء والسفك دم  
 جهل ، وتضليل احلام وسفسطة  
 غزوت بالسيف بعد الغزو بالقلم  
 والشر ان تلقه بالخير ، ضقت به  
 ذرعا ، وان تلقه بالشر ينحسم

(٥١) انظر ديوان البارودي ٢/٣٦٢ - ٣٦٤ وانظر في الادب الحديث - الاستاذ/عمر الدسوقي ٢٦٩/٠ ، وتالاه - في البيت الاخير - :  
 اقسام عليه وحلف . انظر هامش الديوان رقم ٣٢ ج ٢/٣٦٤ .

ونصفي الى شوقي مرآة أخرى وهو يعطى التفسير الانساني للغزوات  
ويوضح دورها في نشر العدل وأعلى راية الحق ، مبينا أن الاسلام في  
حروبه سلامة يمد جانب السماحة البيضاء التي تنشر الرفاهية والرخاء  
فيقول (٥٢) :-

كم من غزاة للنبي كريمة  
فيها رضا للحق أو اعلاء  
كانت لجند الله فيها شدة  
في أثرها للعالمين رخاء  
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها  
فعلى الجهالة والضلال عفاء  
دعموا على الحرب السلام وطالما  
حققت دماء في الزمان دماء

وقريب من هذا المعنى الذي يواكب الدعوة في انتشارها ، وفي  
ارسائها لقواعد العدل والحق ، وتبديد ظلام المستبدين وظلمهم ما قاله  
على الجارم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

أحبيه من طيف الملائك موكب  
ويرعاه من طيف النبيين موكب  
له الكون ميدان اذا سل سيفه  
وقال الفرسان الملائكة اركبوا  
ومن لم يؤد به البيان وهديه  
فان الحسام العصب نعم المؤدب  
فقد أنزل الله الحديد وبأسه  
لمن سد أذنيه الهوى والتعصب

أحمد محرم :

وأما أحمد محرم فقد رصد حركة الجهاد الاسلامي في ديوانه  
« مجد الاسلام » وضار يستنهض الهمم لاعادة روح الجهاد لاعلاء كلمة  
الله فيقول في قصيدة يخاطب بها عاما هجرياً :

أقبل ، عليك من الشعوب سلام  
فزع الصليب اليك والاسلام

(٥٢) أنظر مع الأدب الاسلامي د. أحمد جاد/٤٢ .

عيس ينجى فيك سيف مجهد  
والدمع سيل والهموم ركام  
اضرب لنا مثل الجهاد وسرينا  
نفس الوقائع ، فالحياة صدام  
« أحد » و « بدر » شاهدان فما على  
من يسفك الدم في الحقوق ملام (٥٣)

ولقد اتجه « أحمد محرم » منذ بدا حياته الادبية الى ايقاظ الشعور  
الدينى فى العالم الاسلامى ، والتذكير بما فى الاسلام مشيدا بمناقب  
السلف فيقول فى قصيدة بعنوان « شدوا عرى الدين » :

يا منزل الوحي تهدي الحائرين  
الى السبيل وتحيي صالح السنن  
انزل على قلبي ما شئت من حكم  
تمحو الجهالة عن قومي وعن وطني

الى ان قال مبينا منهجه :

بالحق اصدع فى امن وفى فزع  
والصدق اتبع فى سر وفى علن  
ما بعث دينى بدنيا لابقاء لها  
ولو فعلت وجدت الله فى الثمن  
البر والخير والدنيا وما لبست  
من الحضارة لولا الدين لم تكن  
قل للشعوب اذا اخلاقها وهنت  
وراعها طائف الارزاء والمحن  
شد واعرى الدين ، فالاخلاق ياخذها  
ما كان من قوة بالدين او وهن (٥٤)

وقال من قصيدة بعنوان : « توبوا الى الهدى » (٥٥) :

هل الدين الا معقل نحتمى به  
اذا دلف العادى اليها فاسرعا ؟

(٥٣) أنظر مع الأدب الاسلامى/٤٤ .

(٥٤) أنظر ديوان مجد الاسلام/١٠ - ١١ .

(٥٥) المرجع السابق /١١

هل الدين الا الروح تحمي نفوسنا  
حياة ترينا ما حل العيش ممرعا ؟  
هو الدين ان يذهب فلا عز بعده  
وان جد ساعينا على اثر من سعي

وعندما حمل كرومر المعتمد البريطاني بمصر على الاسلام والمسلمين  
قال من قصيدة طويلة مطلعها (٥٦) :-

رويدك ايها الجبار فينا  
فان الرأى الا تزدرينا  
سل الاحياء والموتى جميعا  
اكننا امة مستضعفينا ؟  
ليالى بيعت الاسلام منا  
عزائم تخضع المتغطينا  
قتل عروش جبارين غلبا  
ونجتت الممالك فاتحيننا  
وقائع ترجف الدولت منها  
ويذكرها القياصر صاغرينا



وعندما دعا قاسم امين المرأة الى السفور قال من قصيدة :

سلام على الاخلاق في الشرق كله  
اذا ما استبحت في الخدود الكرائم  
ثم يتوجه بالحديث الى قاسم امين فيقول :-  
ا ( قاسم ) لا تقذف بجيشك تفتنى  
بقومك والاسلام ما الله عالم  
لنتنا من بتناء الاولين بقية  
تلوذة بها اعراضنا والمحارم  
ثبذت اليقنا بالكتاب كانما  
صائحغه مما حملن ملاحم  
ففى كل سطر منه حتف مفاجىء  
وفى كل حرف منه جيش مهاجم  
عفا الله عن قوم تمادت ظنونهم  
فلا النهج مامون ، ولا الرأى حازم

(٥٦) المرجع السابق / ١١

## اسلامية الادب :

وهكذا نرى أن الشعر الذي يبسط المفاهيم الاسلامية ، ويناقح عنها وكذلك النثر بفنونه لا خلاف في أنه محمود وممدوح ، لأنه يتضمن المعاني المستحسنة شرعا .

وعلى ذلك نستطيع القول بأن التزام الأديب بالمعاني المستحسنة طبعاً ، والمعاني المستحسنة شرعاً ، هو الالتزام الذي يتفق والرؤية الاسلامية مع تقريرنا بأنه لا تعارض بين المعنيين .

ومقتضى ذلك الا نقصر مفهوم الالتزام بأدب الدعوة على المعاني المباشرة وحدها . بل يكون ملتزماً بالتصور الاسلامى فى الموضوع الذى يتناوله .

يقول الدكتور عبد الله الحامد فى بيان المقصود بالاسلامية عندما ينسب الأدب إليها :

« ... وليس المقصود بالاسلامية فيه أن يكون دينياً يعنى بالتسبيح والتحميد والدعاء والاستغفار ونحوهما من ابتهاج للمولى وتعظيم له ، وحديث عن عجائب مخلوقاته ، كذلك شعر دينى اسلامى ، ولكنه ليس كل الشعر الاسلامى بل بعض من كل ، وجزء من جسم ، فالشعر الاسلامى أوسع من ذلك بكثير ، أنه يتناول كل قضايا الكون والحياة والانسان حين تمتزج بالعاطفة الاسلامية ، أو تتشح بوشاح الفكر السلامى » (٥٧)

ولذلك يعرف الدكتور عيد الله الحامد الادب الاسلامى بقوله :  
« يعنى الأدب الذى اتصل بالاسلام اتصال الفرع بالأصل ، والجدول بالنبوع ، الأدب الذى يحمل فكرة اسلامية نيرة ، أو عاطفة دينية سامية ، بهذا التعريف يتضح أن الادب الاسلامى ليس يعنى الادب الخلقى والحكم والنصائح التى يمكن أن تقال بأى لسان ، وفى أى عصر ، وأى ديانة كقول الشاعر :

كن حليماً اذا بليت بغيظ

وصبورا اذا بلك مصيبة

فاللىالى من الانام حبالى

مقلات يلدن كل عجيبة

(٥٧) الشعر الاميلامى فى صدر الاسلام د . عبد الله الحامد / ٤٥٧

فذلك شعر اسلامى بالمعنى العام أى أنه لا يعارض الاسلام فى تشريعه  
وهديه فهو مقبول حسن ، لكن الشعر الاسلامى النزعة كقول الشاعر :

واذا تعبك خصاصة فارح الفنى  
والى الذى يعطى الرغائب قارغب

فالاسلامية فى هذه الفكرة ليست الدعوة الى الصبر على النوائب ،  
فتلك قضية عامة ، يقولها المتفائل للحياة ، مسلما ، وغيره ، لكن ربط  
الفنى بالله الفنى هو بيت القصيد فى الفكرة ، وهو ما يربطها بالاسلام ،  
ويلقى عليها نورا من نوره ، وفيضا من تبعه (٥٨) .

ويقول :

انما حسب الشاعر ان الا يتقدمى حدود النظرة الاسلامية لله والكون  
والانسان والحياة (٥٩) .

وبناء على هذه النظرة للأدب الاسلامى يجعل الدكتور الحامد  
للاللتزام فى الاسلام معنيين ، « المعنى الأول عام ، ويعنى به أن لا يخالف  
الشاعر شيئا من التصور الاسلامى لله تبارك وتعالى ، وللكون وللحياة  
وللانسان ، فلا يعبت منحرفا شاكا كما فى شعر أبى العلاء المعرى والخيام  
ولا يعبت مفسدا للاخلاق كما فى شعر أبى نواس ، وابن حجاج وابن سكره  
الهاشمى ، ولا يبحث مؤرثا العداوة والبغضاء بين الناس كما فى شعر  
الأعشى والحطيئة وجريير وشعراء الهجاء ، أما ان يصف الشاعر الطبيعة  
بروح مؤمنة ، أو يصف جمالا ، أو قصرا ، أو فلاة ، أو أن يتحدث عن  
نوازع النفس وما فيها من حجب وأعجاب فذلك له يتغنى كما شاء وحينما  
شاء مادام لم يصطدم بشيء مما ذكر سابقا وهذا هو مفهوم الآية الكريمة  
« ألم تر أنهم فى كل واد يهييمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون » .

أى أنهم يبالغون ويتخيلون ، ويتعدون عن أرض الواقع الكثير ،  
ولكن هذا لا ينال من أسلافهم ما داموا لم يصطدموا بحدود التصور  
الاسلامى .

والمعنى الثانى : اللتزام بمعنى تقييد الشاعر بان لا يقول  
الا مناضلا ومدافعا ومجنندا فى سبيل قضية الايمان (٦٠) .

(٥٨) أنظر الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام / ١٤ .

(٥٩) المرجع السابق / ١٨ .

(٦٠) أنظر الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام . د. عبد الله

الحامد / ٨٧ ، أنظر كتب وارهاء - الكتاب الثانى للدكتور محمد بن سعد  
بن حسين / ١٠٠ .



وأتفق مع الدكتور الحامد في كلامه عن الالتزام بمعناه الأول ،  
وأما كلام الدكتور الحامد في المعنى الثاني لا يتفق مع تصوري للالتزام  
كما أسلفت - فلا أستطيع أن لقب شاعرا مقيدا بأى معنى من المعانى  
ملتزما ، وإنما يكون ملتزما باعتباره مسلما يعيش قضايا الاسلام  
ويتفاعل معها ، ويهتم بأمر المسلمين ، ويتفاعل مع قضاياهم ، كل هذا  
باعتباره انسانا مسلما كغيره ، ويزيد عن غيره في اخراج هذه الاحساسات  
وهذه التفاعلات في ثوبها الأدبى الموحى الجميل .

وعندئذ سيكون الالتزام بمعنى الاعتناق واضحا ، وتكون القوة  
التعبيرية والصدق الفنى واضحا عندما يعرض قضايا الايمان ، وعندما  
ينصح قومه في الاخذ بأسباب الهداية ، وعندما يبصرهم بالطريق المستقيم  
ويحذرهم مما لا يبصرون من المخاطر .

كما أننى أضع ضابط آخر يتعلق بالمعنى الأول الذى ذكره الدكتور  
الحامد - وقد أشرت اليه من قبل - في أن لقب الالتزام لا ينبغى  
أن اطلقه على أديب بصورة عامة فأقول أن هذا الأديب ملتزم ، والاخر  
غير ملتزم ، وذلك لأن الأديب انسان ، وأدبه متصل به ، وجزء من عمله  
وتحصيله له بلقب الالتزام يعنى ، ويحجب عن الناقد عدم الالتزام  
في بعض الأعمال الأدبية ولا ينبغى أن يكون لقب الالتزام مضللا - لنا -  
بل يبقى مرتبطا بالعمل الذى نسمعه أو نقرأه ناقول :

« ان الالتزام واضح في هذا العمل ، أو ان هذا الأديب لم يلتزم  
في هذا العمل ، ولا اكون مسرفا اذا قلت : ان بعض الأعمال الأدبية التى  
لا يلتزم فيها بالوحدة العضوية لا ينبغى أن يكون لقب الالتزام ، أو عدمه  
ممنوحا للقطعة كلها ، بل قد يكون الالتزام واضحا في جزء منها ، ولا  
يوجد في جزء آخر .

وعلى ذلك لا أستطيع القول بأن أبا العلاء لم يكن ملتزما لوجود  
الشك في شعره ، لأن الشك لا يشمل كل شعره ، وكذلك الخيام . وهكذا .  
ويقول الدكتور أحمد جاد ( رحمه الله ) في تعريف الأدب الاسلامى  
تعريفا يتفق مع ما قررناه .:

« اذا كان الأدب عامة هو الافكار والخواطر المعبر عنها في قالب  
فنى ذى تأثير وجدانى فان الأدب الاسلامى هو ذلك المعنى بعينه بشرط  
أن تكون تلك الخواطر والافكار اسلامية . . أى نابعة من الاسلام بمحتواه  
وخصوصيته .

أو لنقل : ان قيم الاسلام ومثله وخلصه دعوته ، وخصائص رسالته ، موضوعة في الاطار الفنى ذى التأثير الوجدانى وبعبارة اخرى : انه التعبير الذى تلتقى فيه ( فنية ) الشكل ، مع ( اسلامية ) المحتوى . ويستوى في ذلك ان يكون هذا الاطار الادبى شعرا او نثرا ، مقالا او رواية او قصة او مسرحية ، او ما يمتزج من هذه الالوان جميعا او ما يجد عليها .

والادب الاسلامى بهذا التصور اطار واسع شكلا ، وعميق مضمونا ، فهو ليس فقط قصائد ترحب بذكرى المولد ، او تستقبل العام الهجرى ، او تتغنى بليلة الاسراء .

وليس بالضرورة - ايضا - ( عرضا تاريخيا ) لقضاياه او سير رجاله . . وان كان ذلك مطلوبا ومرغوبا ، لكن الاسراف فيه ، او الاقتصر عليه ، كما هو واقع الامر ، قد يفقده الغاية منه ، بل قد يكون ذا اثر عكسى . . اذ يوحى للمتلقى ان هذا الاسلام مرحلة تاريخية قضت مهمتها وانتهت ، ( والقت ما فيها وتخلت ) ، وانه لم يعد لها وجود ولا مستقبل ، شأنها شأن اى عرض تاريخى للفراعنة او قدامى الاغريق .

وبخاصة ان مثل تلك العروض التاريخية للاسلام تقدم صورا غير مالوفة وتعالج في الغالب قضايا لا تشابه واقع العصر ، ولا تحتوى مشاكل الانسان المعاصر .

ان الادب الاسلامى تصور شامل للحياة في مثلها الأعلى ، وفضائلها المرتجاة ، وهو كذلك عرض صادق لقضاياها الكبرى ومشكلاتها الحثيثة من اجل البحث عن العلاج الذى لا يقتل ، والدواء الذى لا ينثر الجراثيم .

الادب الاسلامى - الذى نريده ونتطلع اليه - هو الموقف الايجابى للاديب المسلم الذى يحيا في ضميره صوت محمد صلى الله عليه وسلم ، ويجيش وجدانه بخفة وحي السماء لينظر الى العالم المضطرب من حوله والى الجماعات الظحونة . . فيحاول ان يرسى فيها السلام والنظام .

وان يرفع عنها القهر والاصر والاخلال التى عليها . . بالكلمة الموحية المؤثرة ، والصورة الحية المعجزة ، والبصيرة اللامحة النافذة ، والموقف الشجاع المتصدى ( ٦١ ) .

( ٦١ ) مع الادب الاسلامى د . أحمد جاد / ١١ - ١٣ .

## من الدراسات النقدية لقضية الالتزام :

عرض لقضية الالتزام في النقد الأدبي للاستاذ الدكتور

بدوى « طبانة » .

وقد تناول الاستاذ الدكتور بدوى طبانة قضية الالتزام في النقد الأدبي (٦٢) وذكر أنها من قضايا النقد الأدبي التي أصبحت مثارا للخلاف الشديد بين النقاد في زماننا .

ويعنى أصحاب الدعوة الى « الالتزام » أن يتقيد الأدباء وأرباب الفنون في أعمالهم الفنية بمبادئ خاصة وأفكار معينة ، يلتزمون بالتعبير عنها ، والدعوة إليها ، ويقربونها الى عقول جماهير الناس ، ويحببونها الى قلوبهم .

وإذا قيد الأديب نفسه بتلك الأهداف وقصر إنتاجه عليها فهو الأديب الملتزم . « أما الأديب الذي لا يتقيد بتلك الأهداف ، بل يعبر عن ذاته وعن تجاربه وعواطفه وانفعالاته ، متحررا من سائر القيود التي تحد من حريته في التعبير عن مشاعره فهو عندهم « أديب غير ملتزم » .

ويقول الدكتور بدوى :

ولا شك أن الدعوة الى الالتزام تحمل في مضمونها اعتراف بقيمة الفنون بعامتها ، والأدب بخاصة ، والاعتراف كذلك بتأثيرها البعيد في حياة المجتمعات الانسانية ، وفي نفوس الذين يعيشون فيها ، لتنتقل في سبيل المبادئ ودعوات الإصلاح التي رسمتها ، أو التي رسمت لها ، ولتحقق الغايات التي حددتها تلك الدعوات ، وتبشر الناس بالسعادة التي يمنهم بها للدعاة إليها إذا التزموا بها ، وجروا في مصارها .

ثم تناول الدكتور بدوى الكلمة في اللغة ، والاصطلاح ، وظهور المصطلح في مذهب « الواقعية الاشتراكية » ، وأن الشيء الذي يقرر درجة الانتاج الفنى والأدب الواقعى فهو ما في الصورة الفنية من قوة وقدرة على دعم الحياة الاشتراكية .

الوجوديون - أيضا - من دعاة الالتزام المتحمسين له ، وأن يكن الوجوديون يفرقون في الالتزام بين الأدب وسائر الفنون ، ويقولون أنهم

(٦٢) أنظر كتاب قضايا النقد الأدبي د. بدوى طبانة /٥٠- ١٣٨

لا يريدون للرسم ولا للنحت ولا للموسيقى أن تكون ملتزمة ، أو بالأحرى لا تفرض على هذه الفنون أن تكون على قدم المساواة مع الأدب في الالتزام .

بل ان الوجوديين يفرقون بين الشعر والنثر من ناحية الالتزام ، فيرون أن الكتابة النثرية هي مجال الالتزام لأن ميدان المعاني إنما هو النثر ، أما الشعر فلا يوجبون الالتزام فيه .

ويعرض الوجوديون الى وظيفة الأدب وغاياته فيبين أن الجدل والخلاف قد احتدم في هذا الموضوع ، وتميز من هذا الخلاف مذهبان :

١ - ذهب بعضهم الى أن الأدب ، ذلك انفن الانسان الرفيع ، لايمكن أن تقتصر رسالته على المتعة والسلى ، أو اللهو وتزجية الفراغ ، بل لابد أن تكون له غاية في نشدان الحقيقة التي يبحث عنها الانسان ، ورسالة في الخير ، أو تحقيق السعادة ، وهي غاية الحياة الانسانية لا يحققها الأديب ، أو لا يحاول تحقيقها لذات الأديب فحسب ، ولكن - أيضا - للجماعة التي ينتسب اليها ، للانسانية كلها ، اذا استطاع الى ذلك سبيلا . وبذلك يستطيع الفن الأدبي أن يشارك في بناء المجتمعات ، وصياغة حياتها صياغة جديدة .

٢ - وذهب آخرون الى أن الأدب « فن جميل » يستثير الشعور بالجمال ، وأن الجمال وسيلته التي يحقق بها فنيته ، وأن هذا الجمال هو في الوقت نفسه غايته التي يسعى الى تحقيقها . فاذا استطاع الأديب أن يجيد تصوير تجربته الشعورية ، وأن يعبر عنها تعبيرا جميلا مؤثرا واستطاع ان يبعث المتلقى على الاعجاب بفنه ومشاركته في العاطفة أو نوع الانفعال الذي وجده ، فقد حقق أهم ما يراد من العمل الأدبي تحقيقه ، لأن ذلك غرض في ذاته ، وأما ماعدا ذلك من معالجة الحقائق الكونية ، أو النظرات العقلية ، أو المبادئ الاصلاحية فليس شيء من ذلك غاية من غاياته .

٣ - ويقول الدكتور بدوى : وقد يكون هناك فرتق ثالث يذهب الى أن ما يبدو في الالتزام بغايات الحق والخير لا يتعارض مع الجمال الذي تحققة الفنية ، فاجتماع الغايتين ليس جمعا بين متناقضين ، واذا اخلص الأديب لفنه واستغرق فيه جره ذلك الاخلاص الى تقديس الجمال في كل شيء ، وفي كل صورة ولا شيء أجمل من الحقيقة لطلاب الحقيقة ، ولا شيء أجمل من السعادة لطلاب الحياة .

ثم يبين الدكتور بدوى صلة ذلك بحرية الأديب ، فان في تحديد الغاية أمام الأديب الزام وتقييد لحرية في التعبير عما يشاء من الأعراس الذاتية التي يحس بالحاجة الى التعبير عنها .

وهذا الذي أسميته « الزاما » وليس التزاما .

ثم يذكر الأستاذ الدكتور بدوى أن المقصود بالالتزام في النقد هو تقييد الناقد في حكمه على الكاتب بما يتصف به انشاؤه من المشاركة بالفكر والعاطفة في القضايا الاخلاقية والاجتماعية والوطنية والسياسية ، هل شعر الأديب بما شعر به أهله من آلام ويتصور ما يتصورون من أهداف ، أم يستغرق في تأمل الجمال ، ويهيم في عالم الوهم ، وينسى وطنه وأمته ؟ .

فاذا رأى الناقد أن الشاعر لاه ببعض الصور الفنية التي لا تمت الى مشكلات مجتمعه بسبب ، كوصف عاصفة هو جاء ، أو شلال هادر ، أو نهير متجمد ، أو زهرة ذابلة ، أو تصوير غريزة جامحة ، أو تجربة ذاتية لا علاقة لها بمصير الانسان ، حكم عليه بالتقصير برغم اجادته في الوصف والتصوير ، وإذا رآه شديد الاهتمام بالصور الفنية المتعلقة بالحياة الوطنية والاجتماعية والقومية والانسانية ، حكم عليه بالاجادة .

وسبب ذلك أن الشعر ليس تخيلا وهميا ، وانما هو تخيل وادراك وان كان التخيل الجميل يرفعه الى عالم الوهم فان الادراك يربطه بعالم الواقع والحس .

أما حرص الأديب على وصف ما يحسه ، وما يؤثر في مشاعره هو بصرف النظر عن التزامه بأية غاية من الغايات الكونية أو الاجتماعية فان معنى ذلك تمتعه بالحرية الكاملة التي لا تعرف القيود ، ولا تتوقف أمام السدود .

وإذا كانت كلمة « الحرية » من أشهى الكلمات المحببة الى النفوس فذلك لعظم دلالتها ، وسمو معناها ، وتأثيرها البعيد في حياة الافراد والجماعات .

ويقول الدكتور بدوى : وتعنى كلمة « الحرية » الطلاقة من كل قيد والقدرة على التصرف وانبعاث الارادة المختارة . وأحب الاعمال الى الانسان ما تجر به طواعية بارادته واختياره ، استجابة لذلك النزوع

الطبيعي الى الحرية والاختيار حتى لقد يتكلف الانسان ما يشق عليه ،  
بل يتجشم مالا يطيق في سبيل ما يحب وما يختار .

ويقابل هذه الحرية القسر والالزام ، وهما مستلزمان الاستبداد  
والقهر وسلب الحريات . وفي ذلك ما فيه من حمل النفوس على ما قد  
لا تحب ولا تؤثر . . بل ان العلم والثقافة والتهذيب وغيرها من ضرورات  
الحياة لا رسوخ لها في الازهان مع الكراهية او مع الشعور بالارغام على  
تلقيها وتحصيلها .

وإذا كان حرص الناس على الحرية كحرصهم على قوتهم الذي  
يقيمون به اودهم ، فان الأدباء أشد حرصا على الظفر بتلك الحرية  
التي لا يبدعون غيرها ، ولا يتحقق عنصر الصدق فيما ينتجون من أدب  
إذا فقدوها ، ولا تتعدد ألوان الأدب ، ولا تتباين منازع الأدباء ، ولا تتميز  
شخصياتهم الفنية بعضها من بعض ، ولا يخلدون الا بالابداع الذي يميز  
بعضهم من بعض .

ويقول الدكتور بدوى طبانة :

ومن أيدع الآراء الماثورة عن النقاد العرب ما نادى به قدامة بن  
جعفر وقدمه على كل ما أراد من الحديث في نقد الشعر ، وذلك في قوله  
« ومما يجب تقدمته وتوطيده - قبل ما أريد أن أتكلم فيه - أن المعاني  
كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها فيما أحب وأثر من غير أن يخطر  
عليه معنى يروم الكلام فيه » .

وانا لست مع قدامة في اطلاق هذا ، وخاصة إذا تذكرنا أن قدامة  
لم ير انتقاص قول امرئ القيس في قوله :

« ومثلك حبلتي . . » على الرغم من قحشه .

ويشير الدكتور بدوى الى شيء من آراء المعاصرين في تلك الحرية  
ويذكر في ذلك رأى الأديب الأستاذ شفيق جبري الذي يوصي أن الأدب  
لا يجد سبيله الى تلطيف الذوق الا اذا كتبت له الحرية ويصرح بأنه  
لا يكاد يفهم المقصود من الالتزام في الأدب فاذا كان المقصد من الالتزام  
ان يعرض المجتمع على الأديب أفكاره ومعتقداته ، حتى لا يحيد عن هذه  
الأفكار ، وهذه المعتقدات في كتاباته ، وحتى يكون في هذا المجتمع آلة  
يحركونها ويسكنونها كيف شاؤوا ، فخير للأديب أن يختار له صناعة  
غير صناعة الأدب « وبعد أن يعرض الدكتور بدوى هذا الاتجاه يذكر

ما يراه من خلاصة في انه اذا كان هنالك التزام بمبدأ أو فكرة فان تلك  
الذكرة ينبغي ان تنبع من ذات الأديب ، ومن أعماق نفسه ، ويستوى  
في ذلك ان يكون المبدأ حقيقة اهتدى اليها الأديب ، أو يكون مبدأ اعتنقه  
وامن بصوابه ثم جعل من نفسه مدافعا عنه أو داعية اليه ، اذ ليس من  
الضرورى ان تكون التجربة التى ملكت على الأديب حسه وملاط مشاعره  
تجربة عاناها بنفسه ، بل انها كثيرا ما تكون نجاسة غيره ، ومعاناة  
سواه ، ولكنه انفعّل بها انفعاله بتجربته الذاتية فكانها أصبحت تجربته  
الذاتية ، فاذا لم يتحقق الانفعال بالتجربة الذاتية ، أو التجربة الغيرية  
فليس من حق أى فرد أو أى مجتمع ان يلزم الأديب بالتعبير عن اية فكرة  
أو تجربة أو عقيدة لغيرهم مهما يكن من أسباب الاستحسان ، أو أسباب  
الايمان بتلك لفكرة أو العقيدة ، لانه اذا عبر عما لا يحس كان مضطرا  
أو مكرها ، أو كان كاذبا يفقد أدبه عنصر الصدق . واذا كان الأديب  
كذلك كان كلاما مصنوعا ، وبدأ عليه اثر الزيف والتكلف .

وبعد الحديث عن الحرية كما يراها الأديب والقراء وكما يراها النقاد  
يعرض الدكتور يدوى مذهبين في الأديب والنقد ، وفي الفنون الانسانية  
بصفة عامة وهما مذهب « الفن للفن » والمذهب الثانى « الفن للحياة »  
وقد سادفهم هذين القولين على أنهما متقابلان ، أى أن القائلين بنظرية  
« الفن للفن » يعزلونه عزلا نهائيا عن الحياة ، أو لعلمهم يريدون بهذه  
العبارة ان ليس للفن وظيفة يؤديها فى الحياة ، وأن الذين ينادون بأن  
الفن للحياة لا يقدرّون هذا الفن الا بمقدار ما يحقق للحياة أو للأحياء .

والعبارة المشهورة « الفن لأجل الفن » قد يراد بها أن الفن شىء  
يستحيل تقديره اذا حكمنا عليه بامور خارجة عن طبيعة الفن . .  
وليس هذا الفن مطالباً بان يكون ذا فائدة مادية أو خلقية ، وانما  
الذى يكون أمام الناقد هو التعبير ، وحسبه منه انه تعبير ، يعجبه  
منه التعبير لنفسه ولذاته . أى أن الفن - هنا - لا يخرج بنا الى دائرة  
غير دائرة الفن نفسه ، ولا يطلب منا أن نحكم فى أمر خارج عن الفن .

أما القول بان وظيفة الأديب هى أن يعلمنا أمرا ، أو يقنعنا بصحة  
شىء ، أو يحسن من اخلاقنا ، فهذا كله يخرج بنا عن فن الأديب .

ومن الممكن أن يؤدى الأديب كل هذه الأشياء ، ولكنه لم يكن أديبا  
لمجرد انائه لها . كذلك ليس من وظيفة الأديب ان يكون جُميلا بل الأصح  
أن نقول ان من الأشياء التى تجعلنا نحكم بان الأديب جُميل أن يؤدى

وظيفته تمام الأداء أما تلك الوظيفة التي يؤديها الأدب بتغييره عن التجربة ، فهي أن يجعل التجربة ذات مغزى بنفسها ، من غير حاجة الى أن نحكم عليها بأنها صادقة أو صحيحة ، أو نافعة أو مهذبة ، وكل تأليف أدبي - مهما تكن التجربة التي اشتمل عليها محدودة - يعطينا مثالا من تلك التجارب التي نحن في أشد الحاجة اليها ، وذلك بفضل الصورة التي يتخذها فالصورة في الأدب هي التي تجعل للتجربة مغزى .

ويذكر الدكتور بدوى أن موضوع القيم في الآداب والفنون ، واتصالها بحياة الناس والمجتمعات قد تناوله كثير من النقاد وكثير من علماء الجمال ، وفلاسفة الاجتماع والفن والأخلاق ، واختلفوا اختلافا واضحا في غاية الأدب وفي حرية الأديب ، وكان منهم من حاول التوفيق بين الرأيين ، ونفى التعارض بين المذهبين .

ومن نقادنا المعاصرين من شارك في تلك الخصومة ، وأدلى بصريح الرأي في طبيعة الفن الأدبي ووظيفته في الحياة . ومن هؤلاء النقاد الدكتور طه حسين الذي يقول : ان أصحاب الأدب في سبيل الحياة إذا سألته عن هذه الحياة التي يريدونها لم تجد عندهم جوابا مقنعا . ويتحدى الدكتور طه أنصار فكرة « الأدب في سبيل الحياة » وأمثالهم أن يدلوه على أدب قديم أو أدب حديث لم يتجه الى إرضاء الحاجة الإنسانية ، وقد يذكر أصحاب هذه الفكرة غيرهم من الذين يدعون لفكرة « الفن للفن » وينصحهم الدكتور طه بأن يحتاطوا في حديثهم عنهم ، لأن الذين يريدون « الفن للفن » لا يرتفعون بانفسهم عن الجماعات الإنسانية ولا يجعلون أنفسهم ملائكة ، ولا يعيشون في السحاب ولا يلتزمون هذه الخرافة التي تسمى « البرج العاجي » ولكنهم يرون للجماعة الإنسانية نفسها كما يرون لانفسهم الارتفاع بين حين وحين عما يتصل بالمنافع العاجلة القريبة الى ما هو أبقي منها وأرقى .

أما توفيق الحكيم فإنه يجعل الامتاع أهم غايات الأدب والفن ، ويقول : أما إذا كان في الامكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فاني أرحب به ، وأسلم على الفور بأنه الأرقى ولكن هذا يتهدى الا للافذاذ الذين لا يظهرون في كل زمان .

ويقول الدكتور بدوى : ومن الواضح أن فكرة الفن الخالص ، أو فكرة الفن الصرف ، التي يقوم الفن الأدبي على أساس ما فيه من



خصائص الفن وهى قوة التعبير ووضوحه ، وجماله ، هذه الفكرة لا تروق للالتزاميين الذين يرون فى « قوة التعبير » خطأ جسيما للجمالين أو للأسلوبيين الخالص ، وهذا الخطأ يكمن فى اعتقادهم أن الكلام نسيم يجرى لطيفا على سطح الأشياء ، ويمسها مسا رقيقا دون أن ينالها بتغير ، ثم اعتقادهم أن المتكلم لابد وأن يكون مشاهدا للأشياء يختصر فى كلماته تأملات غير ذات منال .

ثم يتناول الدكتور بدوى مبحثا آخر فى الالتزام الحقيقى « ويقصد به الالتزام بالحقائق ويعده من أهم مقاييس الالتزام التى عرفتها الانسانية ، وعرفها النقد الأدبى ، كما يعد من أقدم تلك المقاييس التى استخدمها الانسان فى تقدير الأشياء والحكم عليها . .

وقياس الأدب بمقياس الحقيقة هو قياسه بمقياس المعرفة المبنية على التثبيت واليقين ، وذلك على اعتبار وجوب الثقافة وتوافرها لدى الأديب ، ليكون على وعى وبصيرة بضروب من المعرفة تلزمه جانب التنقل والتفكير ليشيع ذلك فى ثنايا ما يصدر عنه ، أو ما يؤلفه من الأعمال الأدبية . .

وليس معنى ذلك أن يكون الأديب مطالبا بالعلم بدقائق الأشياء عارفا بأسرار الحقائق ، لأن ذلك ليس مجاله الطبيعى ، وإنما هو مطالب بما لا يخفى ادراكه على أوساط الناس فى الأقل ، أو هو مطالب بمعرفة البدهيات التى يوصف بالجهالة من لا يعرفها ، وليس عليه أن يجهل ما لا يضره الجهل ، وما لا يصبح الجهل به مذمة وعارا لأوساط الناس ، فإذا ترقى فى سبيل المعرفة درجة بعد درجة كان ذلك أتم لاداته ، وأحكم لفنه ، وأدعى الى تقدير الناس له ، وأكبرهم لفنه الذى يجعل له بينهم مكانا ممتازا .

ويعرض الدكتور بدوى لتقسيم أرسطو للأخطاء التى يمكن أن تقع فى الشعر فى قسمين :

#### ١ - الأخطاء الجوهرية :

وهى التى لها صلة مباشرة بالفن الشعرى ، كما اذا حاول الشاعر أن يصف شيئا ، أو يحاكي أمرا من الأمور فأخفق لضعف موهبته ، أو ضعف قدرته على التعبير ، فإن الخطأ حينئذ يكون راجعا الى الجوهر ، أو الى صناعة الشعر نفسها . .

## ٢ - الاخطاء العرضية :

وهي الاخطاء التي لا ترجع الى صناعة الشعر بأن يتصور الشيء تصورا فاسدا ، مثل أن يتصور أن الجواد يقذف بكلتا قدميه اليمينين الى الامام في وقت واحد ، أو اذا كان خطوه راجعا الى علم خاص كعلم الطب مثلا أو أي علم آخر . فكل هذه الاخطاء اخطاء عرضية لا ترجع الى صناعة الشعر نفسها . .

ويقول الدكتور بدوى : ويتضح من هذا الكلام أننا أمام دفاع عن الشعر والشعراء ، أو أمام محاولة لتسويغ ما قد لا نتقبله الاذهان مما يخالف ما عرفته من حقائق الأشياء وتصوير مفهوماتها ، وهذا التسويغ لا يعدوا ان يكون مظهرا من مظاهر التعاطف بين الناقد والاديب . .

فإمامنا فكرتان الفكرة الفنية ، أو مبدا التحرر من سائر القيود التي تحد من حرية الاديب سوى قيود الفنية التي يختص بها ، والتي تبدو في الاجادة في تصوير التجارب التي أراد محاكاتها أو التعبير عنها ، أو ان الاديب مطالب باجادة عرض ما يعانيه أو ما يؤثر فيه من التجارب أيضا كانت التجربة ، وأيضا كان ذلك المؤثر ومهما يكن مخالفا لما يراه العقل ، أو يوجه الحق ، أو مناقضا لما قاله هو في وقت آخر ، والفكرة الأخرى في الالتزام بالحقائق .

وقد وجد الرايان في تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ويقول الدكتور بدوى : ومن العسير حصر الآراء الكثيرة التي توصى بالخير وتنادى بالصدق وتدعو الى الحق ، لأنها أكثر من أن تحصى ، وأوضح من أن يستدل عليها ، أو يستشهد بها ، وهي على أي حال تستمد من فضائل النفوس العربية ، ومن روح الاسلام ، ومن طبيعة الجنس العربي الذي يغلب عليه طابع الجد في تناول الأمور ، وعدم السكوت على ما لا يرضى ، أو على ما يعتقد أن فيه خروجا على المنطق والصواب ومن ذلك تقرير معنى من المعانى في كلام والابتيان بالمعنى الذي يقابله في الكلام نفسه ، وفي الحال نفسه فذلك نقض للمعنى الأول وهو معيب عند قدامة بن جعفر يسميه « الاستحالة والتناقض » ، وهو عنده أن يورد الشاعر في بعض شعره معنى ، ثم يعود فيناقضه في ذلك الشعر نفسه ، لأن الجمع بين المعنى وما يقابله تناقض في الكلام ، واستحالة في نظر العقل ، وان كان ذلك العيب ليس مخصوصا بالمعنى الشعرية .

بل هو لاحق بجميع المعانى التى تعرض للكاتب أو الشاعر أو الخطيب ،  
أو فى الجدل وفى لغة الخطاب . .

وحسن الثقة بحقلية الأديب وسلامة تفكيره ، والاطمئنان الى  
حسن تقديره للأدور ، من أعظم الدواعى الى الثقة به ، وتقدير أدبه ،  
وحمل الناس على تصديقه فيما يقول ، وعلى التأثر المنشود بعمله  
الأدبى ، وسبيل تلك الثقة التى تحمل على التصديق الا يخرج الكاتب  
أو الخطيب ، أو الشاعر ، فى المعانى التى يعرضها على طبائع  
الأشياء ، والا يخالف ما هو معروف من بدهيات الأمور ، لأن ذلك يقدح  
فى قوة إدراكه ، ويهون الثقة بمعرفته وثقافته ، ويفتح أمام النقاد بابا  
للطعن فى عقليته ، ووصفه بالجهل ، وبخاصة اذا لم يتحقق بتلك  
المخالفة أو ذلك الخروج فائدة واذا كان سبيل العلم غير سبيل الفن ،  
واذا كان ليس من المفترض أن يكون الأديب عالما أو مقررا لحقائق  
الأشياء كما هى فليس من المقبول أن يتخذ ذلك ذريعة لمخالفة العرف  
أو الخروج على بدهيات الأمور التى لا تخفى على عوام الناس ، بله  
الصفة المستنيرة الممتازة من الأدباء . .

وبعد أن يقدم الدكتور بدوى نماذج من الاحالات قديما وحديثا  
يقول : ولكن أصح الآراء وأقربها الى المقبول والمعقول هو الرأى القائل  
بأن الشاعر لا يطالب بالحقائق أيا كان نوعها فى شعره ، ولكنه اذا  
عرض لها عليه الا يخطئ فيها خطأ ينكره الناس ، ويفطنون الى  
ما فيه من آثار التهافت أو الجهل . وه والرأى الذى ذكره القاضى  
الجرجاني فى قوله انه ينبغى الا يؤاخذ الشاعر بتلك الدقائق الفلسفية  
ما لم يأخذ نفسه بها ، ويتكلف العمل لها ، فيؤخذ فيها حينئذ بحكمه ،  
ويطالب بما جنى على نفسه . .

وهو القول الذى قاله العقاد « ليس الشاعر مطالباً بالقضايا  
العلمية ولا بالدقة التاريخية . ولكن هل هو مطالب بنقص القضايا  
المقررة ، ومسوخ الاخبار الثابتة ؟ ليس من الضرورى ان يقول لنا الشاعر  
ان ( ١٠ = ٥ + ٥ ) ولكن هل من الضرورى أن يقول ( ٥ + ٥ = ٨ ) مثلا  
أو ( ١٤ ) ؟ . . واذا لم يذكر الشاعر فى قصيدة ان نابليون ولد فى  
سنة ١٧٦٩ بجزيرة كورسيكا فليس من يلومه على هذا الاهمال ولكن هل  
لو ذكر انه ولد فى القرن الخامس للميلاد ببلاد اليابان ، أتراه كان يسلم  
من اللوم لأنه ليس بالعالم المحص للقضايا ، ولا بالمؤرخ المحقق للأخبار  
والإقتدار ؟ يجب الا يخالف الشاعر ظاهر الحقيقة لا يكون كلامه أوفق

لباطنها فاما أن يتخبط في اتاويله يمينا وشمالا ، مخالفا ظاهر الحقيقة وباطنها ، مدابرا احكام الحس والعقل والصواب ، لغير عرض تستلزمه خدمة الحقائق النفسية ، أو تصوير الضمائر الخفية - فذلك سخف ليس من الشعر ولا من العلم (٦٣) .

وقد اشار العلوى (٦٤) الى ذلك في قوله : ان الفهم يانس من الكلام بالعدل والصواب الحق ، والجائز المعروف المألوف ، ويتشوق اليه ويتجلى له ويستوحش من الكلام الجائر ، والخطا الباطل ، والمحال المجهول المنكر وينفر منه ، ويصدأ له .

ويعرض الدكتور مسألة الكذب لاتصالها بالحديث عن الحقائق فيبين المقصود بالكذب هنا وهو تجاوز حقائق الأشياء ، وهى الحقائق المعروفة التى تتكون منها ماهياتها ، والتحدث عنها بغير هذه الحقائق ، أو أن يكون لتلك الأحاديث أصل ، ولكن الشعراء لا يلزمون ولا يققون عنده ، بل انهم يسرفون في هذا الأصل ، ويفلون وبيبالغون فيه حتى يجاوز دائرة المعروف الممكن الى دائرة المستحيل الذى لا يقع وقد يرى قوم من النقاد فساد ذلك التجاوز ، ويرون أن المبالغة في وصف الأشياء لا يكاد يستعملها الا من عجز عن استعمال المألوف والاختراع الجارى على الأساليب المعهودة ، فيعتمد الى هذه المبالغة ، ليسد خلل بلادته ، بما يأتى به من التهويل ، فيخرج بالكلام الى حد الاستحالة .

ولكن فريقا آخر من النقاد ومنهم قدامة بن جعفر يرون أن الغلو أجود المذهبين - الغلو والاقتصار على الحد الأوسط - ويقولون انه رأى العالمين بالشعر والشعراء قديما ، فقد قال قائلهم « أحسن الشعر أكذبه » أو « أعذبه أكذبه » .

ويتناول الدكتور بدوى طبانة بعد ذلك التزاما آخر هو الالتزام الخلقى فيرى أنه من أهم القضايا التى يثيرها النقد الأدبى في هذا الزمان وهى قضية المضمون الأدبى وعلاقته بالفكرة الخلقية وقواعد السلوك الانسانى ، أو بعبارة أخرى ومحاولة تقويم الأدب على أساس ما تضمن من معانى الفضائل ، وأشاد بها ورغب فيها بما صورها في صورة زاهية تبعث في نفوس المتلقين اعجابا بها ، وتقديسا لمبادئها

(٦٣) وأنظر فصول من النقد عند العقاد ٢٣٤ .

(٦٤) وأنظر عيار الشعر/ ١٤ .

وكذلك عرض الرذائل بصورة تسمئز منها النفوس ، وتحملها على النفور منها .

ونلك ضرب من ضروب « الالتزام » أوجبته الحكماء وفلاسفة الأخلاق منذ كانت الفكرة الخلقية ، ومنذ كان لها اشباع يدعون اليها ، ويدافعون عنها ، ويحاربون الرذيلة موضحين اضرارها وما تؤدي اليه من ضروب الفساد والانحلال للمجتمعات الانسانية .

وهؤلاء يؤمنون بالدور الذى يؤديه الفن الأدبى فى حياة الافراد والجماعات ويعرفون قبل ذلك مدى تقبل النفوس له وارتياحها اليه ، بما يحدث فيها من المسرة والامتع .

وبعد أن يعرض آراء اليونانيين فى هذه القضية يعلق عليها فيقول : وفى هذه الآراء الواضحة التى تمثل أقدم الآراء التى قيلت فى النقد الأدبى منذ عرفت الانسانية الفن الأدبى ونقده يتأكد الحرص على المثل الاخلاقية ، وهى المثل الفطرية التى وجهت المفكرين نحو الخير والفضيلة وارتقت بالانسانية من حياة الفوضى ، والهمجية الى حياة الطهر والعفاف ، واتجهت بها الى حياة متماسكة متكاملة ، وبناء مجتمعات سليمة تطرح فيها حياة اللهو والمجون والخلاعة ، وتقهر النفس الانسانية الامارة بالسوء ، والمتمردة على كل ما يقيد حريتها من القيم والفضائل ، ويحد من نزواتها الذاتية فيما تعمل وفيما تقول حذرا من فتنة النفوس واغرائها بتجارب تعود عليها بالخزى والعار ، وعلى مجتمعاتها بالتفكك والانحلال .

وقد عرف الأدب العربى طائفة كبيرة من الاعلام صانوا ادبهم وشعرهم عن الكشف والابتدال فأكبرهم الناس بهذا الصون ، وصاروا نصراء للفضيلة ومكارم الاخلاق ، وتباهوا بالترفع عن الدنيا وعما يحل بمرؤات الرجال ، وفخروا بعفتهم ، ومدحوا بالعفة فى السلوك ، وبالعفة فى القول .

ويقدم الدكتور بدوى حوارا دار بين علم من اعلام الزهد والمعرفة ، وأحد الباحثين عن مفهوم البلاغة ومعناها من وجهة نظر ذلك الزاهد وهو عمرو بن عبيد ، وكما رواه أبو عثمان الجاحظ (٦٥) على النحو الآتى :

(٦٥) وأنظر البيان والتبيين ١١٤/١ .

— ما البلاغة ؟

— ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار . . وما بصرك مواقع  
رشدك وعواقب غيك .

— ليس هذا أريد

— من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن  
الاستماع لم يحسن القول

— ليس هذا أريد

— قال النبي - صلى الله عليه وسلم « أنا معشر الأنبياء  
بكاء » أى قليلو الكلام ، وعنه قيل : « رجل بكى » .  
وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله .

— ليس هذا أريد

— كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ، ما لا يخافون  
من فتنة السكوت ، ومن سقطات الصمت .

— ليس هذا أريد

— فكانك إنما تريد تخير اللفظ ، في حسن الافهام .

— نعم

— أنك ان أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف  
المؤنة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريرين ،  
بالالفاظ المستحسنة في الأذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة  
في سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة  
الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب ،  
واستحقت على الله جزيل الثواب .

فهذا هو مفهوم البلاغة عند عمرو بن عبيد الذي استخرجه وفهمه  
من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث يجد  
المسئولية عن الكلمة ، والأمر بالاحسان فيها « وقال لعبادي يقولوا التي  
هي أحسن » (٦٦) ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد(٦٧) « وقول  
النبي صلى الله عليه وسلم » :

(٦٦) سورة الاسراء/٥٣ .

(٦٧) سورة ق/١٨ .

ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه  
الله بها درجات في الجنة ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى  
لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم(٦٨) .

ومما يتفق مع هذه النظرة تقسيم عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي  
للشعر(٦٩) وتصنيفه له كما يلي :

\* شعر هو خير كله ، وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ  
الحسنة ، والمثل العائد على من تمثل به بالخير ، وما أشبه  
ذلك .

\* وشعر هو ظرف كله ، وذلك القول في الأوصاف والنعوت  
والتشبيه وما يفتن به من المعاني والآداب .

\* وشعر هو شر كله ، وذلك الهجاء ، وما تسرع به الشاعر  
الى أعراض الناس .

\* وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل الى كل سوق ما ينفق فيها ،  
ويخاطب كل انسان من حيث هو ويأتى اليه من جهة فهمه .  
ويقول الدكتور بدوي معلقا على هذا التقسيم .

ومن الواضح أن أحق هذه الصنوف بالتقدير من وجهة نظر الناقد ،  
هو الصنف الأول الذي يجمع الخير والزهد والعفة والموعظة ، وان  
الصنف الثاني يهدف الى السلوى والامتناع بما يحوى الشعر من معالم  
الفنية وخصائصها ، أما الصنفان الاخران اللذان يقصد بأولهما الهجاء  
والقذف ، ويقصد بالآخر منهما الى التكسب والزلفى بالثناء الكاذب ،  
والملق المقوت فهما أخط ألوان الشعر .

ويقرر الدكتور بدوي أم فكة الالتزام الخلقى في الفن الأدبي وغيره  
من الفنون هي أقدم دعوات الالتزام وأبقاها على الزمن وان اشياها  
من الكثرة بحيث يعز احصاؤهم . وما أكثر الكتابات التي كتبت في  
تأييدها ، لأنها تمثل فكرة الأغلبية الغالبة من البشر .

---

(٦٨) رواه مالك والبخارى واللفظ له والنسائي والحاكم وقال  
صحيح على شرط مسلم . أنظر الترغيب والترهيب ٥٣٦/٣ حديث ٤٢ .  
(٦٩) العمدة لابن رشيقي ١١٨/١ .

ومع ذلك وجدت الفكرة المقابلة وهي فكرة التحرر من القيود الخلقية والمثل الدينية في الفن الأدبي .

وهؤلاء انما يقيسون الادب بمقياس واحد هو مقياس الامتاع والاحساس بما يتوافر فيه من سمات الجمال الفنى فى التعبير ، وفى التخيل ، وفى التصوير .

وليس معنى ذلك ان اولئك النقاد جميعا يتنكرون للقيم الانسانية والمبادئ الاخلاقية فى حد ذاتها ، او يقللون من اثارها البعيدة فى حياة الامم والشعوب ومساعدة الانسان ، ولكن الذى ينكرونه هو ان يتقيد الادباء بتلك القيود فى كل ما يؤلفون من اعمال ادبية ، او ان يلزموا بغير ما لا يعينهم ان يلتزموا به من الاهداف والغاية ، وقد يجمع العمل الادبى بين المثالية الخلقية والجودة الفنية ، وهو حينئذ عندهم من الاعمال الجديرة بالتقدير ولكنهم لا يعيرون مع ذلك العمل الادبى اذا خلا من تلك المثالية بل هو لا ينكرونه اذا افتات عليها ، وغالى فى نصره اضدادها .

ويذكر الدكتور بدوى ان هذا القرن الذى نعيش فيه اخذت تتردد فى مجالات الادب والنقد عبارة « الادب المكشوف » .

ومضمون هذه العبارة معرق فى القدم اذ هو البوح بما رأت الانسانية انه يجمال اخفاؤه ، والكشف عما تستحى من الكشف عنه وتحرص على ستره من الاسرار والخفايا التى تذكر البوح بها الاذواق السليمة وتقف الالسنه الشريفه عن قوله او ترديده .

وقد كان ظهور هذا الادب المكشوف فى الادب الحديث سواء فى الشعر او فى القصة صورة لشيوع هذا اللون فى الادب الاوربى الحديث بعد الحرب العالمية الاولى .

وقد حمل على هذه الدعوة جماعة من النقاد والادباء منهم المازنى الذى جعل الادب المكشوف شبيها بالنزعة الى العزى عن اللباس .

وفى ختام هذا الفصل يجعل الأستاذ الدكتور بدوى طبانة النتائج فى ست عشرة نتيجة .

وهذه الدراسة لقضية الالتزام قد استوعبت جوانب القضية ، وتناولت الاقوال المتضاربة فى تفاصيلها .



عرض « التزام الشعر » :

للاستاذ الدكتور « محمد غنيمي هلال » :

وأما الأستاذ الدكتور محمد غنيمي هلال فقد تناول القضية أيضاً - في كتاب « النقد الأدبي الحديث » تحت عنوان « التزام الشعر » (٧٠) .

وبدا تناوله للموضوع بتساؤلات عن عناصر الشعر ، وما العلاقة بين هذه العناصر ومعنى الشعر ؟ وما مدى أهمية المضمون في التجزية ، وهل ينظم الشعر لذات الشعر ؟ أم هل ينظم لنقد الحياة ؟ وأى فرق بين الشاعر والنائر في صلتها بالمجتمع ؟ ولعل تخصيص الدكتور محمد غنيمي للشعر لدراسة موضوع الالتزام لوجود الجدل حول الشعر بصفة خاصة ، وبصورة أوضح من النثر ، ولوجود بعض النظرات الى الشعر تجعله الهاما خاصا لا يتحكم فيه الشاعر تحكم النائر في عمل نثري .

ويذكر اتجاه العصر الحديث في التزام الشاعر بمعنى مشاركته قومه في قضاياهم الانسانية والوطنية ، أو في تركه طليقا مجنح الخيال ما بدأ له . ويعالج في هذا الجزء الصلة بين الشعر والفكر وبين الفكر والمجتمع ، فيشرح معنى « الشعر الخالص » ، « والشعر لذات الشعر » ، ويجعل ذلك تمهيدا لقضية « الالتزام » .

وفي تناول الدكتور محمد غنيمي لقضية الشعر الخالص يرى أنها من قضايا النقد الحديث التي لم توجد الا بعد أن تقدم علم الجمال وقد نشأت في كنف « الرمزية » وظلت أثرا من آثارها .

ويقصد « بالشعر الخالص » توافر العناصر التي هي جوهر الشعر في صياغة التجزية ، وذلك أن جوهر الشعر - في نظر أصحاب الشعر الخالص - هو حقيقة مستمرة عميقة ابحاثية ، لا سبيل الى التعبير عنها بمدلول الكلمات ، بل بعناصر الشعر الخالصة ، وهذه العناصر الخالصة غير مقصورة على جرس الكلمات ، ورنين القافية ، وإيقاع التعابير ، وموسيقا الوزن ، فهذه كلها لا تصل الى المنطقة العميقة التي يختتم فيها الالهام .

(٧٠) أنظر كتاب « النقد الأدبي الحديث » /٤٧٦ - ٤٩١ .

ولكن اذا وضعت الكلمات في مواضعها الايحائية الحق ، وصدرت في ايقاعها وموسيقاها عن استجابة خالصة لاعماق النفس ، وعن حميا فنية ، فانها تشف عن اجواء روحية رحيبة .

ويقرب معنى المدلولات الشعرية بمثال يقول فيه : اذا سمعنا من ينادى : « الى اين ذهب الخادم » ؟ او اصغينا الى ابراهيم ناجى في قصيدته : العودة . . . . حين يقول :

اين ناديك ؟ واين السمر ؟ اين اهلوك بساطا وندامى ؟

فالاذن تسمع الجملة الاولى كما تسمع البيت ، والعقل يقف على مدلول الكلمات فيهما . فيفهم معناها على حسب قواعد اللغة العامة وأوضاع الكلمات وهذه هي حدود العقل . والتجربة تدلنا - عادة - على ان الجملة الاولى تنتهي الغاية منها عند فهمها . وتدعنا في حالتنا الطبيعية على حين يترك فينا الاستفهام في البيت اثر آخر يتمثل في هزة نفسية ، اذ يوحى الينا - مجردا عن القرائن الأخرى - بموقف خاص : عودة من سفر طويل أو قصير . مفاجأة المنازل ، وقد اوحشت بعد انس ، ذلك الماضى الحبيب الغنى بذكرياته وملذاته . . وتلك الهزة النفسية ، وذلك الموقف الخاص ، يتجاوزان مجرد المدلولات اللفظية وفيهما يظهر الفرق بين الايحاء الشعري - والدلالة النثرية المحضة كما هي الجملة المذكورة قبل البيت السابق ، وهذا هو الشأن في التجارب الشعرية بعامة لا تعتمد الا على العناصر الايجابية الخالصة .

أما عناصر الشعر غير الخالصة - في نظر هؤلاء - فهي الموضوع أى ما يفهم من العنوان عامة ، ثم الافكار المدلول عليها في الشعر الذى نظم في ذلك الموضوع ، ومعنى كل جملة ، والتتابع المنطقى للافكار ، والتدرج في الدلالة على التجربة ، وتفضيل الوصف ، والمشاعر المثارة اشارة مباشرة ، وبالجملية : جميع الافكار والمشاعر والصور المباشرة ، فتلك كلها ليست جوهر الشعر ، عند دعاة الشعر الخالص ، وان كانت حين تنتظم في العناصر الايحائية - تكتسب ذلك التيسار المستمر الذى تحدث عنه .

ولكن هل يمكن أن توجد تلك العناصر الخالصة مستقلة قائمة بنفسها ؟ وبعبارة أخرى : هل هناك وجود للشعر الخالص قائم بذاته ؟ .

ويقول الدكتور محمد غنيمي : هذا - طبعا - مالا يمكن ان يكون ، لأن الشعر كلام ، وللكلام مدلول لغوى ، والا كان ضربا من العبث ، وهذا المدلول يعد من العناصر غير الخالصة في نظر هؤلاء .

ويعترف كبار دعاة الشعر الخالص الا وجود لهذا الشعر مستقلا عن العناصر غير الخالصة .

ويستنتج الدكتور أن للمضمون - اذن - قيمة ، حتى في نظر دعاة ذلك النوع من الشعر ، ويبلغ الشعر الخالص قمته اذا تضافر المضمون والصياغة واحكما حتى أصبح لا يستطيع فهم ذلك المضمون الا في تلك الصياغة ، بحيث يكون كل تغيير في تلك الصياغة ضارا بالمعنى ، فيصبح قالب الشعر الشكلي محكما في الايحاء بالمعنى ايحاء لا يغنى فيه غير ذلك القالب ، وهذا أمر لا يتوافر الا اذا بلغ الشعر درجة من الكمال يعز وجودها .

ويتساءل الدكتور غنيمي عن قيمة المضمون - وهل يمكن أن يكون الشعر نفعيا كالنثر ؟ وما مدى صلة التجربة الشعرية بالقيم الاجتماعية ؟ ويرى ان هذه المسائل تمس قضية الشعر للشعر ، وهذه فرع من قضية « الفن للفن » عامة ولكنها احدث منها نشأة لأن أكثر النقاد الذين يدعون الى ان للادب غاية يعدون الشعر - في معناه الحديث - مخالفا للنثر في طبيعته ، وموقفه من قضايا المجتمع ، فيعفون الشعر من الالتزام بهذه الرسالة ، ولكن بعض النقاد يسوون بين الشعر والنثر في وجوب خدمة الشعر لقضايا الوطن والانسانية . وهؤلاء يخالفون قضية « الفن للفن » في النثر والشعر على سواء . وقديما رأينا افلاطون يدعو الى غاية تربية خلقية للشاعر ، وكذلك أرسطو ، وان كان أرسطو لا يقصد سوى شعر المسرحيات ، والملاحم في دعوته .

ولا يزال من بين نقاد اليوم من يرون في الشاعر مثال الانسان الخلقى لعصره ولا يقصدون بذلك انه يدعو حتما الى القيم السائدة المصطلح عليها سلفا ، بل يقصدون الى انه يبين لمعاصريه مثالب ما يسرون عليه ، وفضائل الطريق المثالي التي يحبونها لو اتبعوا دعوة الشاعر ، فيصلح ادراكهم ، ويقوم نظراتهم ، ويقيم ما انحرف منهم ولو أنهم استمعوا لدعوته ، وتم له ما أراد منها لكان حرا بعد ذلك في ان يدعوهم من جديد الى نظام خير مما سبق ان دعاهم اليه متى تراءى له ، وبهذا يكون في سير دائب نحو وحدة مثالية موضوعية ، ويكون مشاركا لعصره قائدا له ، غير متخلف عنه ويرى هؤلاء ان قيمة

التجربة في الشعر تقوم ضد فكرة الشعر للشعر ، ثم ان وجود قيم فنية مستقلة ليس معناه ان هذه القيم غاية في ذاتها ، ولا ينبغي ، بسبب ذلك عزل التجربة الفنية عن القيم الاخرى ، أو التهوين من شأن هذه القيم ولا بد من اعتبار التجربة في مكانتها بين التجارب الانسانية الاخرى ، وهو امر خارجي مهما كانت طبيعة التجربة ، والتجربة تستلزم ارتباطا خاصا بين عالم الشعر والعالم الخارجى على ان من المسلم به انه يجب تخلص عالم الشعر من كل ما هو فردى محض ، لتكون التجربة انسانية مشتركة وفي النظر الى القيمة الفنية وحدها اغفال لقيمة التجربة ومكانتها في الحياة ، وفيه اغفال لقيمة الشعر كذلك ، ودعوة اولئك النقاد جميعا تقوم في وجه دعاة الشعر للشعر . على أن دعاة الشعر للشعر لا يغفلون شأن التجربة الشعرية - كما قد يسبق الى الذهن - ولكنهم يعدونها غاية في ذاتها فلا يربطونها بالقيم الاجتماعية أو الانسانية وقد يكون للشعر قيمة لاحقة ثقافية ، أو دينية ، أو تعليمية ، أو نفسية من أى نوع من انواع النفع ، ولكن قيمته اللاحقة - ايا ما تكن - لا تدخل لها في تقومه ، لان ذلك يحط من قدر الشعر في نظرة دعاة الشعر للشعر ، ويقيده من حرية الشاعر ، ويتنافى وطبيعة الشعر بوصفه تجربة نفسية مستقلة تتجاوز جانب الواقع المحض في نظر هؤلاء .

ويقول : ثم ان قضية الشعر للشعر لا تقطع صلة الشعر بالحياة في رأى انصار الشعر للشعر .

ولكن الشاعر في نظر دعاة الشعر للشعر لا يقصد الى امر نفعي أو كفاح اجتماعي ، بل الى مجرد تصوير التجربة ، لا إثارة المشاعر الخاصة بها بوصفها مشاعر ، لا يوصفها وسيلة من وسائل اللهو ، أو غاية من الغايات الاجتماعية .

على أن مقومات الشعر هي السمو الفني ، واذا تساوت قطعتان في هذا السمو الفني وكانت احدهما وصفا صادقا لتجربة حيوانية مسقة ، والاخرى لتجربة انسانية عالمية ، فلا شك ان للثانية فضلا على الاولى .

وهذه الآراء السابقة لها صلة بقضية « التزام الشاعر » أو عدم التزامه في العصر الحاضر ويراد بالتزام الشاعر - كما يرى الدكتور محمد غنيمي - وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا قومه الوطنية والانسانية ، وفيما يعانئون من الام وما يبنون من آمال ، فليس له - مثلا - ان يستغرق في التأمل في الجمال الخالد والخير المحض « على حين يعانى وطنه ذل الاحتلال ، أو عناء الطغيان ، وليس له ان يسترسل

في خيالاته ومشاعره الفردية على حين وطنه من حوله أو طبقته الاجتماعية .  
في وطنه تجاهد في سبيل آمال مشتركة ثم يذكر الدكتور ان قضية التزام  
الشاعر يتناولها مذهبان معاصران من مذاهب الأدب : هما الواقعية  
الاشتراكية ، والوجودية .

ويذكر الدكتور محمد غنيمي ان الشعر في معناه الحديث لا يتسع  
لما يتسع له الأدب الموضوعي من مسرحية أو قصة ، لأن الشعر في معناه  
الحديث تأمل نفسي ، تمر فيه التجربة من خلال النفس ، ويبعث  
في قارئه - كما يثير في مؤلفه - عواطف ومشاعر وافكار ذاتية في جوهرها  
يتخذ الشاعر ذاته محورا لها ، لا يعتمد على الحقائق الموضوعية مجردة  
من عواطفه ، وانما يعد ذاته هو معيارا لها . فاذا تناول العوالم  
الخارجية ، او نظر الى بيئة نظرة شكوى أو تصويب ، فان هذا العالم ،  
وما فيه ومن فيه يتحولون لدى الشاعر الى حالة نفسية .

#### ويقول الدكتور :

ولا نقصد - من وراء ذلك - الى القول بأن الشاعر يحصر عمله في  
دائرة « الذاتية » المحضة ، اذ ان مثل هذه الحالة لاتتصور الا اذا غاب  
في شعوره عن كل شيء حوله ، وهو في هذه الحالة لا يكون على وعى  
يمكنه من التعبير الشعري ، ومن اثاره ما يريد من صور ايحائية ، لانه  
في تعبيره التصويري يعتمد على الأشياء والحقائق والموضوعات التي تحيط  
به والصور التي ينقلها في شعره موجودة ولها صيغة انسانية عامة ،  
وقد تكون هذه الصور حقائق خارجية ذات وجود مادي أو اجتماعي  
خارج في الاصل عن نطاق ذاته ، وقد يحتوى الشعر على عنصر قصصي  
يتخذه الشاعر أساسا لتجربته الشعرية . وفي كل ذلك لا تنقطع صلة  
الشاعر بالحياة والمجتمع في تجربته الشعرية ، وقد توحى تجربته باتخاذ  
موقف ذي اثر كبير في دلالاته الاجتماعية ، وفي هذا الموقف تتجلى  
تعبيراته التصويرية نفسها قوية مؤثرة تترجم عن آمال واسعة أو عن قلق  
وضيق قد يتمخضان من صراع بين الواقع الموجود والمستقبل المنشود .

ولكن يظل الشاعر منفردا في تجربته عن موقف القاص أو المسرحي  
لان مسلكه مختلف عن مسلكها فالشاعر يهتم بالحقائق الكونية والاجتماعية  
من حيث صداها في النفس . على حين يعتمد كتاب القصص والمسرحيات  
لهذه الحقائق يحللونها ، ويفسرون بمواقف شخصياتهم الأدبية - دواعيها  
وطبيعتها ، ويبينون خطرها ، ويحذرون ويشيدون - بوساطة عرض  
الموقف وكلام الشخصيات الأدبية - بما قد ينتج عنها .

## أهم الجوانب في الدراساتين :

ويعد ان عرضت معالجتى الاستاذين الدكتور بدوى طبانة ،  
والدكتور محمد غنيمى هلال لقضية الالتزام ابرز أهم الجوانب في  
المعالجتين لنخلص من الدراساتين الى تقرير ما توصلت اليه في الالتزام  
الثقافى فى الأدب برؤية سلامية .

## تناول الأستاذ الدكتور « بدوى طبانة » للقضية :

لقد كان تناول الدكتور بدوى للقضية تناولاً أخذ باطراف القضية ،  
واتخذ أسلوب العرض الأمين والدقيق للاقوال المتخاصمة فى القضية وخرج  
بحكم ضمنه نتائج دراسته لهذه القضية .

وقبل ان امسك بهذه النتيجة التى التمسها من خلال النتائج الست  
عشرة ( لانها كذلك نتائج اتسمت بسمة العرض - ولعل أستاذنا لا يريد  
ان يفرض ما يرتضيه فى القضية خشية ان يلزم الأديب بشيء لا ينبع منه )  
ابرز جوانب هذه المعالجة فى النقاط الآتية :

اولا : قدم الدكتور بتعريف لغوى واصطلاحى للالتزام وذكر من  
رفع لواء هذه الكلمة .

ثانيا : وحيث ان الالتزام مرتبط بالأدب ، فان قضية الالتزام تعرف  
حقائقها اذا عرفنا وظيفة الأدب وغايته ، ولذلك حدثنا عن وظيفة  
الأدب .

فهل الأدب فن للمتعة فحسب كما يراه أنصار مذهب الفن للفن ؟  
ام له رسالة يؤديها كما يراه مذهب الفن للحياة ؟ .

أم ان هذا التقسيم قد ظلم الأدب ، وجعل فى الأدب تقايلا  
لا محل له ؟ .

نعم انها قسمة ضيزى : ولذلك يقرر الدكتور وجود فريق ثالث ،  
وهو الذى نراه ، ونقرره - أيضا - فاجتماع الغايتين ليس جمعا بين  
متناقضين فى التصور الاسلامى ، فان الأدب الذى تكتمل مقاييسه الفنية  
فسيح يثرى الحياة ، ويجد فيه القارئ أو المشاهد صدق التصورات ،  
وجمال الحقائق ، واستقامة المضمون ، انه اجتماع لجمال المعنى مع  
جمال التعبير الأدبى .

انها نفس مسلمة ثقفت بمبادئ الاسلام وتصوراته ، وتفاعلت مع الكون والحياة فأخرجت هذه المعانى فى صياغة فنية مؤثرة . وهنا نجد الالتزام الثقافى برؤية اسلامية فى الادب .

ولكى يستكمل الدكتور بدوى جوانب القضية يتناول الاديب بالحديث فيحدثنا عن حريته ، وصلة الحرية بالادب ليفرق بين معنى الالتزام ، ومعنى الالتزام .

لنصل فى النهاية الى ان الاديب الملتزم بالتصور الاسلامى لا نستطيع ان نعدده مقيدا بقيود يكرهها ، ويجد نفسه مضطرا معها ، ولو كان حاله كذلك لخرج من دائرة الالتزام الى الالتزام الذى يجعل اذنه باهتا ضعيفا .

انه لا يقسر على شئ اذا كان مستجيبا لمبادئ اسلامه ، وصارت لحمه ودمه ، ولذلك يكون انضباطه نابعا من حريته ، واختياره وقد يراه انسان لا يلتزم بهذه الضوابط مقيدا ، والحقيقة غير ذلك انه يمارس حياته الادبية ليسمو بنفسه ، ويسمو بغيره ، ويعيش لحظة الاستمتاع والامتاع بهذا السمو ، المثالى على الشهوات التى تورث غما وحزنا .

فايهما المقيد ؟ أسير شهواته أم المتحرر منها لتحقيق انسانيته فى اسمى صورها ؟ فى صورة العبودية لله وحده حيث الحرية بأسمى معانيها .

ومع هذه الحرية يكون الصدق الادبى ، وصدق التجربة ، وصدق المشاعر والاحاسيس .

ويوجه الدكتور معنى الكذب فى الشعر ، ثم يتناول من جوانب القضية فى معالجة معنى الالتزام الخلقى ، كما يعالج نقيضه فى الادب المكشوف .

وبعد هذه المعالجة القيمة لقضية الالتزام يذكر الحكم فى النتائج الست عشرة ، التى استخلص منها رأيه فى الالتزام الثقافى حيث يقول فى النتيجة السابقة :

ان فكرة « الالتزام » ينبغى ان ينظر اليها نظرة اوسع وأشمل من أن تكون نظرة سياسية أو مذهبية ، بحيث تشمل قضايا المنفعة ، وقضايا الحق ، وقضايا الاجتماع ، وقضايا الدين والأخلاق ، وقد وجدت فى

تاريخ الفكر الانساني ، بل وجدت في تاريخ النقد الأدبي تلك الأفكار  
الالتزامية التي تتصل بهذه القضايا وغيرها مما يمس حياة الانسان  
ويحترم عقله ويحقق كرامته وسعادته (٧١) .

وهذه النتيجة التي تقرر سعة الأدب لاستيعاب هذه القضايا التي  
ذكرها الدكتور بدوى تدعم ما نراه في ذلك ، الا أن الرؤية الاسلامية  
لا تقبل ان يكون لمفهوم الدين زاوية من هذه القضايا ، ثم تعالج القضايا  
الأخرى بعيدا عن هدية .

وإذا صح هذا الأمر في المفاهيم الغربية التي حصرت الدين  
في زوايا خاصة ، ولاداء مهمة صغيرة من حياة الانسان ، وجعلت القضايا  
الأخرى خاضعة للفكر البشرى بعيدا عن هداية الوحي - فان الرؤية  
الاسلامية لا تقرر هذا المفهوم القاصر للدين .

ان الاسلام دين الله الذي يهدى للتي هي أقوم في شئون الحياة  
كلها ، فينظم حياة الناس السياسية ، وحياتهم الاقتصادية وحياتهم  
الاجتماعية ، وحياتهم الخلقية ، في اتساق وانسجام ، ويتناول بهذا  
الشمول الانسان في جانبه المادى ، وفي جانبه العقلى ، وفي جانبه الروحى  
في تناسق لا يسمح بطغيان جانب على آخر ، ولذلك فان الالتزام الثقافى  
بالرؤية الاسلامية التزام بالمبادئ الاسلامية ، والتصورات الاسلامية ،  
في الأعمال الأدبية التي ينتجها الاديب .

وفي النتيجة السادسة عشرة يقرر الاستاذ الدكتور بدوى أنه « ليس  
هناك من شك في أن الأديب يجد مجالا ارحب لتقدير فنه اذا استطاع  
ان يرضى العقول بالاضافة الى غايته الأصلية من هز المشاعر وارضاء  
العواطف . واذا استطاع في سبيل تحقيق غايته الجمالية خدمة المثل  
الرفيعة التي توجه الانسانية نحو الخير ، ونحو الحياة الفاضلة الكريمة  
السعيدة تلقائيا من غير قسر أو الزام(٧٢) .

معالجة الأستاذ الدكتور محمد غنيمى هلال لالتزام الشعر :

وأما معالجة الدكتور « محمد غنيمى هلال » لموضوع الالتزام فقد  
جعله في مجال الشعر ، لأن الشعر هو المجال الذى يدور حوله الجدل

• (٧١) قضايا النقد الأدبى / ١٣٦

• (٧٢) قضايا النقد الأدبى / ١٣٨



في الصلة بين الشعر والفكر ، وبين الفكر والمجتمع ، ولذلك يتناول بالحديث عناصر الشعر ليحدد لنا عناصر الشعر الخالصة ، ومفهوم الشعر الخالص ، في أقوال انصار مذهب الشعر للشعر ، كما يذكر عناصر الشعر غير الخالص ، والتي تتمثل في الموضوع ، والافكار . ويتساءل هل هناك وجود للشعر الخاص من العناصر غير الخالصة ؟ ليصل الى نتيجة يقرر فيها ان الشعر كلام ، وللكلام مدلول ، والا كان عبثا .

وإذا كان الامر كذلك في الشعر ، فهل يسوى بينه وبين النثر ؟ انه يحدثنا عن الشاعر والنثر وصلتهما بالمجتمع ، ليقزر اتجاه العنصر في الالتزام بمعنى مشاركة الشاعر قومه في قضاياهم الانسانية والوطنية ، ولكن بطبيعة الحال لا تنسى الفوارق بين لغة الشعر ولغة النثر .

ومن هذه المعالجة نستطيع ان نضع ايدينا على ما يراه الدكتور محمد غنيمي في « التزام الشاعر » من خلال ما عرضه من أقوال حيث يقول : « ويراد بالالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا قومه الوطنية والانسانية ، وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال (٧٣) » .

ومعنى ذلك أنه يرى أن الشعر يتسع لهذه القضايا دون اخلال بفن الشعر ، ويكون الشاعر بعد ذلك مرتبطا بثقافته ، والتزامه بها في عمله الشعري ، ولذلك يقول - أيضا - :

« على ان مقومات الشعر هي السمو الفني ، وإذا تساوت قطعتان في هذا السمو الفني وكانت احدهما وصفا صادقا لتجربة حيوية مسفة والاخرى لتجربة انسانية عالية ، فلا شك ان للثانية فضلا على الاولى (٧٤) »

ومعنى ذلك أن الفنية في الشعر تكتسب فضلها وجمالها من اجتماع المعنى الانساني العالى الصادق ، والتعبير الفني الصحيح .

على ان هذا الفضل لا يتم للقطعة الادبية الا اذا اكتسب المعنى روحه الاسلامية النقية الصافية ، وعندئذ يكون الالتزام الثقافي برؤية اسلامية متحققا .

(٧٣) النقد الادبي الحديث / ٤٨٤ .

(٧٤) النقد الادبي الحديث / ٤٨٤ .

كتاب الأديب والالتزام للأستاذ الدكتور « نوري حمودي القيسى » :  
ومن المؤلفات التي حملت عنوان « الأديب والالتزام » كتاب للأستاذ  
الدكتور نوري حمودي القيسى . ولكنه سار في فصول هذا الكتاب على  
معنى التزام الأديب بتوظيف الأدب في خدمة الجماهير وتخليد بطوله  
الجماهير (٧٥) .

ولذلك نجد من عناوين الكتاب « الانسان والقضية » والالتزام  
والانسان والقضايا المصرية « الالتزام والبناء الاجتماعي ، والالتزام  
وأغراض الشعر لعربي ، والالتزام والنثر ، والالتزام والنقد ، والالتزام  
وتاريخ الأدب ، والالتزام والاعتراب » .

وتتضح ملامح المنهج الذي يسير عليه الدكتور نوري في عبارته  
السابقة ، في توظيف الأدب لخدمة الجماهير ، وخدمة قضاياهم .  
ولكن بأي منهج يخدمون ؟

انه يرى ان الأديب ينبغي ان يعبر عن قضايا وطنه المصرية ،  
ومعنى ذلك ان نظريته تتفق مع من يرى الفن للحياة ، وللمجتمع ،  
ولكن على أي أسلوب ؟ وبأي منهج ؟

لن نستطرد في بيان ما فصله الدكتور نوري في كتابه ، ولكن نقول :  
ان خدمة الجماهير في الوطن ، لا تأخذ معنى الخدمة النافعة الا اذا  
قرأوا أدبا لا يستهدف ارضاء الجماهير بل يستهدف السمو بهم ، وتغذية  
مشاعرهم بتجارب أدبية صادقة سامية تهديه بزوية اسلامية صحيحة  
صافية .

## الخاتمة

وبعد تناولنا لهذا الموضوع الخطير نستطيع ان نبرز اهم النتائج التي توصلنا اليها :

\* « الالتزام » كلمة تتناول الجانب الحسى والمعنوى ، ويبقى فيها معنى الالتزام « حتى يصير الجانب المعنوى به ممتزجا بالنفس ، وصارت النفس متعانقة مع هذا الأمر بما يصاحب هذا الاعتناق من طمأنينة ، وحرارة الرضا به . وعندئذ يصبح معنى « الالتزام » مغايرا لمعنى « الالتزام » .

\* الأديب يعبر عن انفعاله بموقف « ما » ، وهذا الانفعال تابع لتصوراته عن الأمور ، وعن الأشياء ، وهذه التصورات للكون من حوله وللأشياء - مرتبطة بتكوينه الثقافى ، وما بنى عليه بناء يجعله ملتزما بهذه التصورات ، ومعبرا - دون تكلف - عن هذه الافكار التي استقرت في وجدانه .

\* اختلاف الناس في هذه الافكار ، وفي هذه التصورات يجعل ما يلتزم به مختلفا ، فمضمون الالتزام عند قوم ليس هو عند آخرين .

\* من مظاهر الاختلاف فيما يلتزم به ، ان يراد من الأديب - عند قوم ان يلتزم بالعناصر الفنية فيكون « الفن للفن » ، والشعر للشعر » .

\* ويراد من الأديب عند آخرين ان يلتزم بقضايا مجتمعه ، وآلام أمته .

\* ويراد من الأديب عند قوم - ان يلتزم بتصوير الواقع ، والتعبير عنه كما هو .

\* ويراد منه عند آخرين - ان يتجاوز سوءات الواقع ليحملة الى الافق الميامى .

\* فرض الأمور السابقة الزام للأديب ، وأما « الالتزام » فإنه فى ان يعيش الأديب نفسه هذه القضايا وأن يفعل بها ، وان يعبر عنها دون ان يقال له ذلك ، وان يكون الأدب نفسه صاحب فكرة اعتنقها ، وخالطت

قلبه ، وصار يصدق بها ، وان يكون الأديب ذا تصورات عن الوجود وعن  
يكون وعن الحياة ، لا تتخلف. هذه التصورات ، وهذه الأفكار اذا عبر  
عن أى موضوع ، واذا تكلم فى أى جانب من الجوانب .

\* التزام الأديب بالثقافة الاسلامية يعنى ان الأديب قد حصل من  
المعارف الاسلامية الضرورية ما يكون لديه منظار خاصة ينظر به الى  
الاشياء ، والى الأمور .

وان يفصح فى الأديب ما حصله من هذه المعارف اليقينية ويصبح  
مزيجا متناسقا يجرى فى كيان الأديب مجرى الدم ، فلا يستطيع الأديب  
فى حركته الادبية ان ينفك عنه .

\* الأديب الملتزم بالثقافة الاسلامية يجمع فى التزامه بين أمرين :  
الفكرة الصافية ، والصياغة الفنية ، وان اقتصر على جانب واحد  
لا نستطيع ان نلقبه بالأديب الملتزم بثقافة الاسلام ، لانه ان كان صافى  
الفكرة دون ان يلتزم بالتعبير الفنى الموحى لا نسميه الا مثقفا .

وان التزم بالصياغة الفنية وتناقض مع ثقافة الاسلام لا نسميه الا  
فنانا فى صناعة الكلام الذى يوصف بمضمونه .

\* أما الأديب الملتزم التزاما ثقافيا برؤية اسلامية فهو الأديب الذى  
يعبر عن المفاهيم الاسلامية ، أو الأفكار الاسلامية ، أو التصورات  
الاسلامية الشاملة لجوانب الحياة كلها تعبيرا فنيا رائعا ، فأراه ملتزما  
وهو يتحدث عن العقيدة ، وأراه ملتزما وهو يتحدث عن العبادة ،  
وأراه ملتزما وهو يتناول علاقة الانسان بأخيه الانسان ، وأراه ملتزما  
عندما يعبر عن الحياة ، وعن المعاناة ، وعن فرجه ، وحزنه ، وأشراره  
وغمه ، وأراه ملتزما فى وصفه ، وفى تحليله للمواقف ، وأراه ملتزما  
عندما يتكلم عن علاقته بالآتى ، وعلاقته بآبناة ، وأراه ملتزما فى  
وقفته امام أحداث زمنه ، وقضايا أمته ، لانه انسان مسلم مثقف كثيره  
فى هذا الجانب ، ومع ثقافته أديب ينفعل ، ويستطيع اخراج انفعالاته  
شعرا عذبا ، أو رواية ، أو قصة ، أو مسرحية ، أو مقالا .

\* لا يتبغى ان يكون لقب الالتزام لقبيا مضللا فتطلقه على أديب  
« ما » ونجعل كل انتاجه الأدبى ملفوفا بهذا التستر الحريرى ، بل يبقى  
حكمتا على الأديب كحكمتا على الانسان الذى لا تستوى أعماله كلها ،  
ويبقى حكم الالتزام خاصا بكل عمل على حدة .

\* « الواقعية الاشتراكية » لا تفرق في الالتزام بين الشاعر والنثر ،  
ولكن الالتزام عندهم ذو غاية اجتماعية واقعية محددة بحدود مسائل  
العصر ، وتناول واقع الناس كما هو ، وليس كما ينبغي أن يكون .

\* الوجوديون يفرقون بين الشاعر والنثر في « الالتزام » فالشاعر  
يستغرق في تجربته ويراهنا من خلال وجدانه ، ويستعمل لغة ايحائية  
ليصور هذه التجربة ، وهو حر في اختيارها ، كحرية في طريقة  
تصويرها ، وتتم من خلال شعوره الفردي ، ولغتها « كثيفة » ، مقصودة  
لذاتها ، فلا يلتزم الشاعر بما يلتزم به النثر .

\* التزام « الواقعيين » محدود بحدود الواقع ، وهذه الحدود  
تحيل « الالتزام » الى الزام .

\* تفریق « الوجوديين » بين الشعر والنثر في الالتزام لا مبرر له .

ولو اتخذت اللغة وسيلة للتفریق ، لكن للنثر والشعر مرتبطان  
بالانسان الأديب ، والالتزام لا يصرف من مصدر واحد الى جهة ،  
ولا يظهر في أخرى ، وكلا الجانبين أثر لمؤثر واحد هو ذلك الكيان  
الانسانى .

\* التصور الاسلامى يجعل حكم ما يصدر عن الانسان في جانبه  
البيانى واحد ، فالشكل التعبيرى في الشعر لا يعطى الشاعر حرية الفتحل  
من الالتزام « فحسب الشعر كحسب الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام » .

\* الشعر - كالنثر - مرتبط بمضمونه ، فان كان المضمون موافقا  
للتصور الاسلامى ، ومراعيا للصياغة الفنية كان الالتزام الثقافى في الادب  
وهذا ينسجم مع النظرة الصحيحة لطبيعة النشاط الانسانى الذى  
لا يستقيم تقسيمه وتجزئته بلا مبرر معقول .

\* يرى العلماء المسلمون ان المضمون الشعرى يأخذ احكام الجواز  
والكراهة والتحریم .

\* تحفظ اشعار ويعنى بها اذا تضمنت الحكم والمعانى  
المستحسنة شرعا ، وطبعاً .

\* الأديب المنتزم بهذا التصور يصبح في مجال واسع جدا لتصوير  
الحياة البشرية في شتى حالاتها ومجالاتها ، وتصوير النفس البشرية في  
شتى انفعالاتها وتقلباتها ، وتصوير القيم الانسانية في شتى مستوياتها  
ودلالاتها .

\* الإحساس بالجمال المتكامل ، والتعبير عنه من سمات الأدب  
الملتزم بالرؤية الإسلامية التي ترفع من قدر الانسان وتسعده .

\* والنظرة الإسلامية تعطى الأديب حرية التعبير عن مشاعرة  
باعتباره انسانا مكرما مؤثرا في غيره ، وفي محيطه الاجتماعي ليسعد ،  
ويسعد ، دون ضرر أو اضرار .

\* الشاعر الملتزم بالتصور الإسلامي يلتزم في ذكره للمرأة بمفهوم  
الإسلام في العلاقة بينهما فيصون حياءها ، وكرامتها ، وعفتها ويصون  
العلاقة بينهما في صفاتها ، وقيامها على المودة والرحمة ، فان اثرت  
الغزيرة الجنسية بهذه المفاهيم فان تصريفها سيكون في طريقه الصحيح  
الذي رسمه الإسلام لهما .

\* لا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ، ولا من أولى  
النهي ، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة  
الا وقد قال الشعر ، أو تمثل به أو سمعه فرضيه ، ما كان حكمة ، أو مناجا  
ولم يكن فيه فحشى ولا خنا ، ولا لمسلم أذى ، فاذا كان كذلك فهو والمنثور  
من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله .

\* الالتزام الثقافي في الأدب برؤية إسلامية يتناول الجانب الإيجابي  
التمثل في بث المفاهيم الإسلامية ، وتقديمها للناس ، ويعنى كذلك عدم  
المخالفة لأي فكرة إسلامية ، ولو كان المضمون الأدبي من المعاني  
المستحسنه طبعاً .

هذا وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ..

## « المراجع »

- القرآن الكريم
- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث .
- الأدب المقارن
- الأديب والالتزام
- أساس البلاغة
- الاسعاد ، شرح « بانث سعاد »
- أوراق الورد ، رسائلها ورسائله
- البيان والتبيين
- تاريخ آداب العرب
- « الترغيب والترهيب » لمن
- الحديث الشريف
- الأساتذة
- الأستاذ أنيس المقدسى - ط. خامسة ١٩٧٣م دار العلم للملايين .
- الدكتور محمد غنيمي هلال - ط. خامسة دار الثقافة - بيروت .
- الدكتور نوري حمودي القيسى . جامعة بغداد كلية الآداب - ١٩٧٩
- للامام جار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري دار صادر -
- الأستاذ مصطفى محمد عمارة - دار بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- احياء الكتب العربية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- الأستاذ مصطفى صادي الرافعي - تاسعة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م دار الكتاب العربي - بيروت .
- لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ( ١٥٠ - ٢٥٥ ) بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط. ثالثة - الخانجي .
- الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي بيروت ط. رابعة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- للحافظ أبى محمد زكى الدين عبد العظيم ابن عبد القوى المنذرى ( ٥٨١ - ٥٦٥ هـ ) ضبط أحاديثه مصطفى محمد عمارة . ط. ثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م دار احياء التراث العربى

— الجامع لإحكام القرآن

لابى عبد الله محمد بن أحمد  
الانصارى القربى مصورة عن طبعة  
دار الكتب - الناشر دار الكاتب  
العربى بالقاهرة - ١٣٨٧هـ -  
١٩٦٧م .

تحقيق محمد أبو الفضل إبرياهيم  
ط . ثالثة دار المعارف بمصر .

لمحمود سامى البارودى باشا حقه  
وشرحه على الجارم ومحمد شفيق  
معروف - دار المعارف بمصر  
١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

حقه وعلق عليه الدكتور وليد  
عرفات فى جزئين دار مصادر بيروت  
١٩٧٤م .

أحمد محرم - حقه وراجعه محمود  
أحمد محرم ط . أولى ١٤٠٢هـ -  
١٩٨٢م - مكتبة الفلاح - الكويت .

لابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة  
الترمذى ٢٠٩ - ٢٧٩ تطلق عزت  
عبيد الدعاس . ط . أولى بمطابع  
الفجر الحديثة - حمص ١٣٨٧ -  
١٩٦٧م .

الدكتور عبد الله الحامد ط . أولى .  
شرح النووى ط . أولى ١٣٤٩ -  
١٩٣٠ - المطبعة المصرية بالأزهر .

لابى على الحسنى بن رشديق  
القيروانى الأزدي ٣٩٠ - ٤٥٦  
تحقيق محمد محى الدين  
عبد الحميد - دار الجيل - بيروت  
ط . رابعة ١٩٧٢م .

— ديوان اميرى والقيس

— ديوان البارودى

— ديوان تيمان بن ثابت

— ديوان مجد الاسلام

— سنن الترمذى

— الشعر الإسلامى فى صدر الإسلام

— صحيح مسلم

— الغمضة فى معانى الشعر

— ديوانه عونته

— ديوانه عونته

— ديوانه عونته

— ديوانه عونته



- القن وهذا به في الشعر العربي،  
المعارف بمصر .
- في الأدب الحديث  
دار الفكر ١٩٧٣ م .
- في التاريخ فكرة ومنهاج  
أولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- في النقد الأدبي  
بمصر ١٩٦٢ .
- قضايا النقد الأدبي  
الدكتور بدوى طبانة - مكتبة  
الانجلو المصرية ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م
- كتب وآراء  
الدكتور محمد بن سعد بن حسين  
ط . أولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- لسان العرب  
لابن منظور جمال الدين محمد بن  
مكرم الانصارى ( ٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ )  
طبعة مصورة عن طبعة بولاق -  
الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- مع الأدب الاسلامى  
الدكتور أحمد جاد - ط . أولى  
١٤٠٢ هـ .
- معجم المصطلحات العلمية  
والفنية عربى - فرنسى - انجليزى  
- لاتينى  
اعداد وتصنيف يوسف خياط - دار  
لسان العرب - بيروت .
- المعجم الوسيط  
قام باخراجه ابراهيم مصطفى ،  
وأحمد حسن الزيات ، وحامد  
عبد القادر ، ومحمد على النجار ،  
وأشرف على طبعة عبد السلام  
هارون .
- معلقات العرب دراسة نقدية  
تاريخية في عيون الشعر  
الجاهلى .  
الدكتور بدوى طبانة - دار الثقافة  
بيروت ط . ثالثة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الأستاذ محمد قطب - دار الشروق  
١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

الأستاذ سيد قطب - دار الشروق

الدكتور محمد غنيمي هلال طه  
أولى ١٩٨٢ - دار العودة - بيروت

أبى الفرج قدامة بن جعفر - تحقيق  
كمال مصطفى طه - مكتبة  
الخانجي

— منهج الفن الإسلامي —

— النقد الأدبي أصوله ومناهجه —

— النقد الأدبي الحديث —

— نقد الشعر —

— تاريخ الأدب العربي —

— تاريخ الأدب العربي الحديث —

— تاريخ الأدب العربي القديم —

— تاريخ الأدب العربي الحديث —

— تاريخ الأدب العربي القديم —

— تاريخ الأدب العربي الحديث —

— تاريخ الأدب العربي القديم —

— تاريخ الأدب العربي الحديث —

— تاريخ الأدب العربي القديم —

— تاريخ الأدب العربي الحديث —

## الفهرست

### الصفحة

٣	المقدمة
٥	الالتزام ، لغة واصطلاحاً
٦	ماذا يلتزم في الأدب ؟
٦	طبيعة الأدب
٧	الالتزام الثقافي
٩٠٠	الناس وقضية الالتزام
٩٠٠	« الواقعية الاشتراكية » والالتزام
٩١١	« الوجوديون » والالتزام
٩١٤	التفريق بين الشعر والشعراء
٩١٢	التصور الاسلامي في ذلك
٩١٣	المعاني المستحسنة ، شرعاً وطبعاً
١٤	المعاني المستحسنة ، طبعاً
١٥	الجمال والتناسق والنظام
١٨	الحب
١٨	الأدب المكشوف
١٨	حملة المازني على الأدب المكشوف
٢٠	تحفظ يسير
٢١	نموذج لفحش القول
٢١	نموذج لعفة القول
٢٢	الحببية عند الراجزي
٢٤	الالتزام بالتصور الاسلامي انطلاقاً من مذهب رشيد
٢٦	علاقة الرجل بالأنثى في التصور الاسلامي
٢٨	الشعر المذموم
٢٩	المعاني المستحسنة شرعاً
٢٩	من أوائل الشعراء في الاسلام
٣١	التزامهم

الصفحة	
٢٢	من شعراء العصر الحديث . . . . .
٢٢	البارودي . . . . .
٣٣	شوقي . . . . .
٣٤	أحمد محرم . . . . .
٣٧	اسلامية الأدب . . . . .
	عرض لقضية الالتزام في النقد الأدبي لأستاذنا الدكتور
٤١	« بدوى طبانة » . . . . .
٥٥	عرض لـ « التزام الشعر » للأستاذ الدكتور « محمد غنيمي هلال »
٦٠	أهم الجوانب في الدراساتين . . . . .
٦٠	تناول أستاذنا الدكتور « بدوى طبانة » للقضية . . . . .
٦٢	معالجة الأستاذ الدكتور « محمد غنيمي هلال » لالتزام الشعر . . . . .
٦٤	كتاب الأديب والالتزام للأستاذ الدكتور « نوري حمودي القيسى » . . . . .
٦٥	الخاتمة . . . . .
٦٩	المراجع . . . . .
	١- . . . . .
	٢- . . . . .
	٣- . . . . .
	٤- . . . . .
	٥- . . . . .
	٦- . . . . .
	٧- . . . . .
	٨- . . . . .
	٩- . . . . .
	١٠- . . . . .
	١١- . . . . .
	١٢- . . . . .
	١٣- . . . . .
	١٤- . . . . .
	١٥- . . . . .
	١٦- . . . . .
	١٧- . . . . .
	١٨- . . . . .
	١٩- . . . . .
	٢٠- . . . . .

رقم الايداع ٨٧/٨٣٧٥

دار وهدان للطباعة والنشر

٦ ميدان بركة الرطلى

تليفون : ٩٠٥٠٣٦ — ٩٢١٤٤٤